عبدالله السوداني

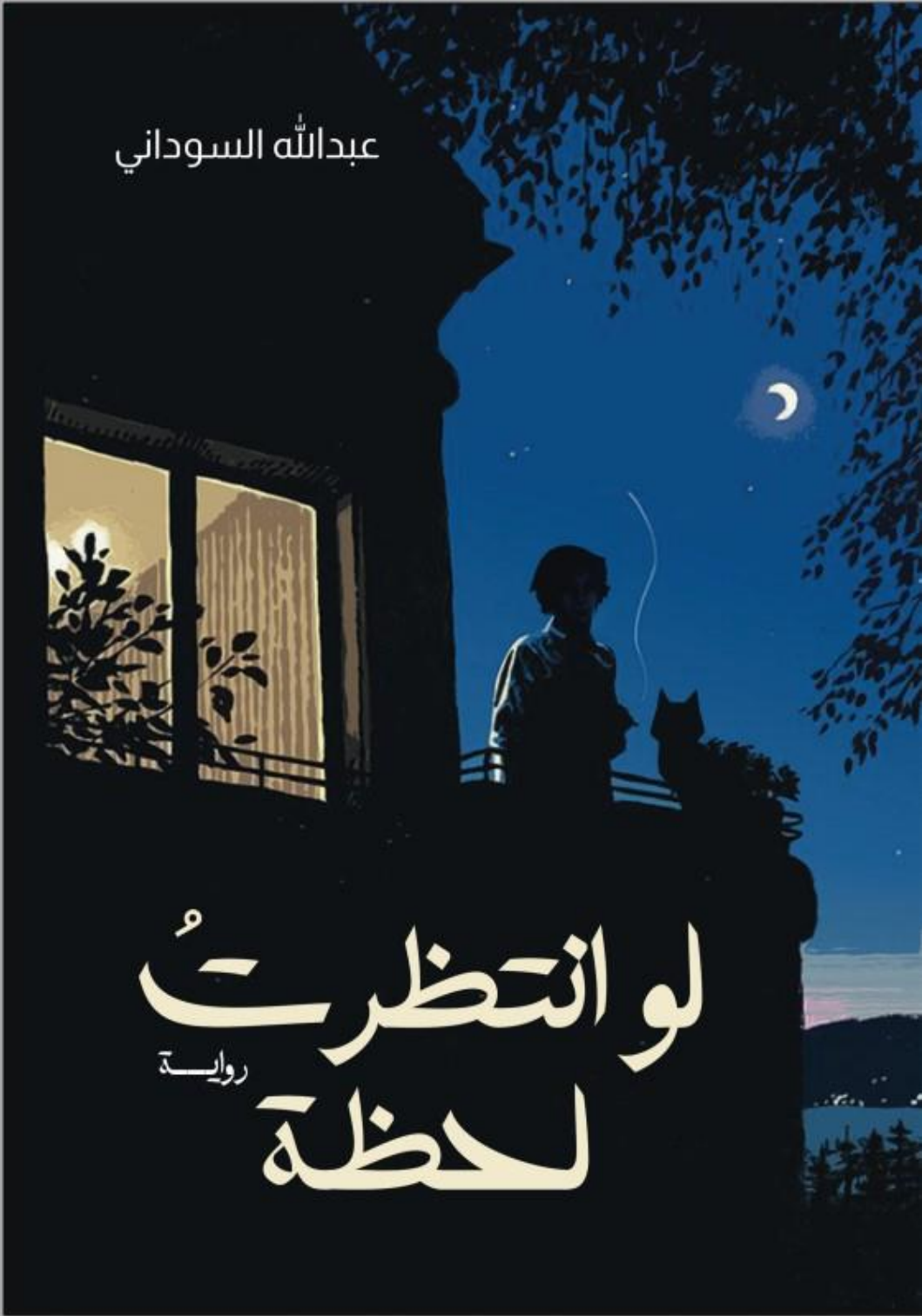

# لو انتظرتُ لحظة

رواية

# لو انتظرتُ لحظة

الكاتب

عبد الله محمد السوداني

# لو انتظرتُ لحظة


تأليف: عبد الله السوداني

غلاف: عبد الله أحمد
تدقيق: مصطفى عبده
تنسيق: عبد الله محمد

الطبعة: الثالثة

المقاس: 14 x 20

رقم الإيداع: 4368\2023

الترقيم الدولي: 978-977-4263-5-8

Dracutobia
دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

الناشر: دار دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

المقر: طنطا- محافظة الغربية- مصر
رقم الهاتف: 01550902211
رقم الهاتف: 01010117843
البريد الإلكتروني: dracutobiapublishing@gmail.com



كل الحقوق محفوظة للناشر وغير مصرح بتداوله بدون إذن خطي ©

# المقدمة

الحياة يا صديقي ما هي إلا لحظات، نحن من نختار كيف سنقضي تلك الأيام، نحن من سنحدد في ماذا سنُفني لحظات حياتنا، هل سنختار أن نغير العالم، أم سنختار أن نكون مرورًا لطيفا فقط في حياة بعضنا، هل سنفضل الصمت، أم سنتحدث قبل فوات الأوان، ماذا سيحدث لو انتظرنا لحظة دون فعل شيء ؟

# (1)

يستيقظ على ماء بارد كالثلج يُسكب فوق رأسه كطريقة من طرق التعذيب التي يتعرض لها بعد أن يفقد وعيه من الألم، ولا يلبث إلا أن يتتابع بعدها القليل من الضرب في أماكن متفرقة في جسده، لم يعد يستطيع أن يصرخ فلقد تقطعت أحباله الصوتية من فرط الصراخ، يتعرض لفترات تعذيب ممنهجة حتى يفقد وعيه فتغلق عليه زنزانته التي لا تحتوي على أي منافذ سوى الباب، الضوء خافت جدًا لم يعد يدرك ماهية الوقت، أهو في الصباح أم في المساء، فذلك الضوء الخافت لا يخبره بشيء.

زنزانته الصغيرة التي لا يوجد بها سرير ولا غطاء، صقيع أرضها قد أكل في عظامه، وجهه النحيل من قلة الطعام، وعيونه السوداء من السهر بسبب ألم جسده، يجلس يفكر في ماذا يحدث حتى اليوم، كم مر من الوقت عليه في هذا المكان، لم يعد يدرك الوقت وكم مر من الأيام هنا، لقد كان يحاول

أن يحســـب أيامه الأولى ولكنه تخلى عن ذلك فلقد كان اهتمامه بتجاهل الألم أهم بالنسبة له.

يفكر في اليوم الأول قبل دخوله لهذا المكان وهو في المطار يودع حبيبته الأولى، يتذكر كيف رفع يده لها ليلوح لها من بعيد، فلقد عادا سويا لموطنهم بعدما أكلت الغُربة أرواحهم، يتذكر أيامه التي كانت معها خارج بلاده وموطنه الأصلي، وما يلبث إلا أن يفيق من أحلامه تلك على صعقات كهربية في مناطق متفرقة على جسده تجعل كل الصور في رأسه تتشتت، لقد ظن أن تكرار التعذيب سيجعله يعتاد الأمر، ولكنه يوشك أن ينسى كل معالم الحياة خارج هذا المكان، يا له من ألم.

لقد سئم وجوده في هذا المكان يريد الخروج، ولا يعلم لأي سبب دخله أصلا، يعتقد أنه كحال الكثير الذين كان يسمع عنهم في وسائل التواصل والأخبار، الذين يختفون قسريًا دون تُهم، فرغم مرور الأيام الكثيرة عليه هنا لما يُعرض للمحاكمة، كما أن طريقة أخذه كانت غريبة، لقد كان يبتسم ويلوح لحبيبته على أمل اللقاء قريبا وما أن أنزل يده واستنشق الهواء بقوة، إذ بسيارة مغلقة من جميع الاتجاهات تشبه سيارات الركاب تُفتح ويأخذه أناس

ملثمين بزي عسكري ويقومون بتصفيده، ومن وقتها لم يرَ ضوء الشمس، لا يدري ما الذي أوقع نفسه فيه.

كان يظن أن أمور الاختطاف تلك لا تحدث سوى في الأفلام، لم يكن يفهم أن حياته في بلدِه هي أسوأ فيلم يمكن لأحدٍ أن يعيشه، بلد ينتشر فيها الظلم والديكتاتورية، تسرق من الشباب زهرة حياتهم حتى لا يتكالبوا عليها يومًا، لا تكفل حرية الرأي ولا حرية التعبير، مستنقع بشري لن تحب الجلوس فيه لحظة، وها هو الآن قد صار جزءً من هذا الواقع المرير.

حلم السفر بالنسبة له كان كحلم الكثير من الشباب في بلده، وقد سافر ليجد الحياة المرفهة في الابتعاد عن وطنه الأم، الوطن الذي ليس له فضل عليه سوى أنه وُلد فيه، ليعاني ما تبقى من حياته، كانت البلاد الغريبة التي لم يولد فيها تعامله كإنسان له حقوقه، حتى وإن لم يكن فردًا منها، توفر له ملبسًا نظيفا ومأكلًا آدميا، وسكنًا يليق بإنسان، إنها حقوق في كل بلاد العالم أما في بلده فهي أمنيات، وما أن قرر التخلي عن كل هذا ويرجع لوطنه لم يرَ النور بعدها.

لم يكن هناك أمل لخروجه من هذا المكان حتى الهرب كان يعتبر مستحيلًا فهو لا يتحدث مع أحدٍ سوى صوت مجهول كل مدة يخبره أن يعترف، وهو لا يدري بماذا يعترِف.

يريد بكل بساطة أن يعلم لماذا يتم تعذيبه بهذه الطريقة الوحشية، فبعيدا عن الكهرباء، كانت الطريقة التي يوصلون له الكهرباء بها من أكثر الطرق السادية، التي وإن كانت تدل على شيء فهي تدل على مدى كون المعذِب مريضًا نفسيا، كان يُقيد في كرسي وهو مغمض العينين يتصل بإصبعه الأصغر وهو الخنصر حلقة معدنية صغيرة تشبه الخاتم، متصلة بأسلاك وتلامس قدمه الأرض، فإذا شغلوا التيار كان شعوره بإصبعه أنه يحترق، وجميع أجزاء جسده ترتعد، لم يكن الصراخ كفيلًا ليجعل أحدهم يرق قلبه ويخفف التعذيب.

لقد كان يتذكر كل مرة ما كان يسمع به في الأفلام من التعذيب لم يكن بهذه الوحشية، كل يوم يتفننون في طرق جديدة، فنزع الأظافر لم تعد مؤلمة ما رأيك أن نقتص عقلة من الإصبع، أو نُحدث شقا طوليا في جلدة بسكين

ثلمَة، أظن أن كسر إصبع أو اثنين بالمطرقة لن يشكل فرقًا، أو وضع حديد مسخن على فخذه فيذوب الشحم تحته.

كانت الطرق متنوعة وبالكاد يستطيع أن يتعالج من جرح حتى يحدثوا غيره، لقد كان الأمر أشبه بكسر نفسِه قبل تحطيم جسده، تعذيب منظم ليكسروا كبرياءه، ينام عاريا في غرفة لا يوجد بها مكان لقضاء الحاجة حتى ينام بين الأوساخ تهلكه الرائحة والبرد والذل، ناهيك عن الإهانات المتواصلة والمسبات بالأب والأم، الضرب بالذل، وسحق وجهه تحت الأحذية، لقد أتى لـ "وطنه" ربما ليخسر احترامَه.

لم يكن يستطيع الصلاة أو قراءة القرآن، فقد كان طوال الوقت في زنزانته مصفد في الأرض بسلاسل لا يتجاوز طولها النصف متر لا تكفي ليتمدد أو ليقف أو ليتحرك من مكانه حتى، ربما مر عليه عام أو اثنان لا يدري، ربما فقد قدرته على النطق بعدما غرزوا الإبر تحت أظفاره لتخترق اللحم، أو حين اقتطعوا جزءً من أصابعه بالمنشار، أو ربما بسبب أنه لم يجد من يتحدث معه، فلم يكن هناك وقت للحديث.

كل يوم تزوره ذكرى اليوم الذي وصـــل لبلده فيه، يتذكر المشـــهد وهو يرفع يده ويلوح يتذكر شـــكل المطار من الخارج وعناق الأحبة حوله، يتذكر الهواء الذي ملأ صـــدره يومها، كان يتذكر كل شـــيء إلا وجهها فكلما أتت إلى باله يشعر بألم شديد كما لو أن ألم الغياب عنها أصعب من الألم الذي هو فيه.

بعد عامين ولربما أكثر أتاه صوت كما لو أنه ينقذه مما هو فيه من فراغ، فعيناه التي لم تعد تستطيع تحديد شكل الحياة حوله سرقت منه خيالاته، لقد أتى صوت من الخارج يحاول أن يؤنسه في وحدته، حتى لو لم يكن يتحدث كثيرا يكفي أن بعد كل تلك السنوات يسمع أحدهم يخبره "هل أنت بخير".

ترتسم على وجهه ابتسامة ساخرة ويقول في نفسه "هل يوجد أحد هنا بخير، هل رأى أحد ما رأيته، أو هل هناك من يرى ما رأيته ويكون بخير".

حاول إخراج الكلمات من حلقه الجاف كالصحراء، محاولًا نطق كلماته الأولى منذ.... في الواقع هو لا يعلم متى آخر مرة أصدر فيها صوتًا غير الصراخ من الألم، لقد ظل لوقت طويل دون أن يتحدث، فظن الحارس أنه نائم، فباب هذه الزنزانة لا يوجد به فتحات سوى من الأسفل لا يرى منها إلا الأقدام التي

تأتي لتريه مختلف ألوان العذاب، لم يستطع أن يتكلم فاكتفى بتحريك السلاسل، عل ذلك الحارس يفهم ما يرمي إليه.

لقد أدرك هذا الحارس حجم معاناته، لقد كان يرى دومًا ما يفعلون به وهو يعلم أنه مظلوم، لكن هذا هو نظام الحكم رتبتك هي من تتحدث وليس إنسانيتك، تخضع للرتبة الأعلى دون أي اكتراث للأمر، لا يتبعون دينا ولا يهتمون لبشر فقط المصالح الشخصية، من يعترض يُقتل فهذه تعتبر خيانة أما والله إنها لظلم، هذا هو جزاء من يقع تحت عجلة الرُتب العسكرية.

قال الحارس بصوت منخفض حتى لا يسمعه أحد، فعلى الرغم من رتبته إلا إنه ما زال عبدًا لمن هم أعلى منه ينفذ أوامرهم حتى وإن كانت في معصية الخالق، يعلوا المقام ويزداد معه الجحود والظلم، قوانين بشرية وُضعت لتقتل من يتخطاها، قال بصوته الهادئ الذي كان على وشك البكاء:

"لقد مضى ما يقارب العامين وأنا أعمل في هذا السجن، ولقد رأيت جميع ألوان التعذيب في مختلف الأشخاص، ورأيتها كلها فيك وحدك، أعلم أنك لم تفعل شيئا كمن سبقك، ولكن هذا هو حالنا الآن، تفشى الظلم ولا أحد يستطيع ردعه حتى أنا لو تحدثت سأُقتل فكل من هنا يعملون على أمر واحد،

لاكتساب مصالحهم، لقد سئمت الصمت تراودني الكوابيس كل ليلة أظن أني حين أموت سأحترق في جهنم جراء صمتي، أنا لا أعلم هل أحاول مواساتك الآن أم مواساة نفسي، أنا وأنت متشابهان قليلا، أنت مسجون وتعلم ذلك ولا أحد يعطيك أمل في الحرية، أما أنا فمسجون داخل جسدي وكل العالم يرى أننا من نمتلك مطلق الحرية، الحرية فقط لمن تقلدوا المناصب العالية، هل تعلم ...".

لم يكمل الحارس حديثه فقد سمع صوت خطوات قادمة ناحيته ظن منها أنهم الجنود مرة أخرى لفقرة أخرى من فقرات التعذيب، ولكن من جاء كان قائدًا من القادة أول مرة يأتي لهنا أعطاه الحارس التحية فأمره بفتح باب الزنزانة وفتح باب الزنزانة هو أسوأ ما قد يسمعه الشاب فما أن تفتح الزنزانة يبدأ العذاب.

دخل القائد وأحنى جذعه قليلًا حتى يتسنى له الحديث مع هذا الفتى التي لم تعد له أي ملامح في وجهه من آثار الضرب والتعذيب، قائلًا بصوت الأب العطوف على أولاده: "يا إلهي يا لك من مسكين كيف فعل هؤلاء الأوغاد بك هذا".

لم يستطع التحدث ولم يستطع أبدًا رؤيته من تلك العصابة الموضوعة على عينه، والتي لو سقطت حتى دون إرادته لفقعت عينه في لحظتها، فرؤية أحد العاملين في هذا المكان هي جريمة أكبر من قتله، كيف ترى من يفعل بك كل هذا ويذيقك كل ألوان التنكيل ولن تحمل الضغائن ضده، وكيف يعلم أنك تريد الانتقام منه إذا رأيته ويتركك تراه يا لهذا الخوف، على الرغم من مناصبهم إنهم مجرد حشرات خائفة تلسع في الظلام فقط.

أكمل القائد كلامه قائلا بنفس الهدوء: "يمكنني إخراجك من هنا، وهذه هديتي لك تعويضا على ما عانيته هنا".

استطاع أن ينطق بعدما علت ابتسامة وجهه، لم تكن ابتسامة سعادة، بل ابتسامة ساخرة هو يعلم أن هذا المكان لا تعطى فيه الهدايا دون مقابل، ربما سيجعلونه، يقوم بمهمة انتحارية أو أن يحمل قضية ما لم يفعلها، أو يقتل أحدًا لكن محال أن تكون تلك الهدية دون مقابل، فقال محاولا إخراج أي حرف "ش...ك...ر...ا".

وكما لو أن كلمات الشكر على هذه الهدية ستكون ثمنًا لتخفيف ألمه، فما سيُطلب منه سيكون أهون بكثير مما هو فيه الآن، على الأقل أن يذهب من

هذا المكان إلى مكان يستطيع أن يتحدث فيه مع أحد على الأقل فلقد أوشك أن يفقد ما بقي من عقله.

لقد كانت تلك المدة التي احتجز فيها مجرد عملية تأهيلية لكسر عزيمته فلا يرفض أيًا ما يملَى له، فمن ذاق مرارة الجوع ستكون كِسرة الخبز التي تُعطى له كنز قد عثر عليه، يعطونه الأسوأ حتى إذا نزل لدرجة السيئ كان هذا من باب الفضل الذي قد ناله، إنها ليست أفعالًا عشوائية وإنما خطط محكَمة، يتحكم فيها بعض الأفراد كما لو أنهم يحركون حياة الناس كتحريك الدمى، ولا يلتفتون لآدميتهم.

أكمل القائد حديثه ليكمل ما كان يعلمه الشاب مسبقًا في خاطره: "لكن أريد منك هدية لي في المقابل، فهل يمكننا أن نتوصل لاتفاق".

أطرق الشاب برأسه أرضًا فهو الاتجاه الوحيد الذي يستطيع أن يحرك رأسه إليه، فقال له القائد: "حسنًا هذا جيد أعجبتني يا فتى، إن لك قلبًا نقيًا لتختار أن ترد لي الهدية".

ضحك الفتى لكن ضحكه كان بداخله لم يستطع إخراجه فلقد حدث ما كان يتوقعه، الآن ليسير كل شيء كما يفهم سيأمرون له بطعام ومكان جيد ليرتاح

ويتعالج فيه، حتى يظهر بمظهرٍ جيد حين يُعرض للمحاكمة على الأمور التي لم يفعلها كباقي أقرانه، هذه هي طبيعة الأمور تحقيق المصالح الشخصية يشوبه بعض الأضرار الجانبية فمن سيتحملها إذن.

غادر القائد الزنزانة ومعه الجنود وأغلقوا الباب ولقد كان الحارس يسمع الحديث الذي دار في الداخل كله، ولقد حزن على الفتى أكثر فما هو مقبل عليه أسوأ مما مضى، اقترب من الباب ليحادث الشاب الملقى على الأرض الذي يتمسك بأي خيط أمل يخرجه من هذا المكان فلقد وهنت عزيمتُه وفقد بأسَه، وهذا ما سيجعله يقبل بأي شيء المهم أن يخرج، قال الحارس: "لا أعلم مدى ذكائك ولكن أظن أنك تفهم أن ما سيعطونه لك ليس هدية، وإنما عقاب أكبر، سأخبرك بأمر أيها الشاب ربما ستستطيع التفكير فيه أفضل مني، هل تعلم ما أكثر ما يخاف منه الناس؟ إنهم خائفون من العيش في خوف، هل رأيت المفارقة العجيبة، الناس يخافون من الهلاك وهذه هي نقطة ضعفهم، أن تخلق لهم هلاكًا غيرَ موجود لتتحكم فيهم، إن ذوي السلطة أذكياء جدًا، لقد استغلوا هذا الأمر للتحكم في كل شيء، فأصبحوا هم صانعوا الخوف والمنقذون منه، كلها أمور تُحاك هنا داخل هذه الجدران،

أنت مجرد بيدق سيستخدمونك لتكون الخوف الذي قبضوا عليه ليعيش الناس في أمان، فالخوف زائف والأمان مثله".

حرك الشاب السلاسل والتي هي إشارة لاستيعاب الأمر لقد فهم ما يرمي إليه الحارس، فأكمل الأخير قائلًا: "لقد ربط الإعلام لفظ الخوف بكلمة الإرهاب، وربطوا الإرهاب بهيئة الشخص، وأظن أنك تعلم الآن مدى وقع كلمة الإرهاب على العوام، إنها أهم وسيلة لإلهاء الشعب عن جرائم ترتكبها السلطات، من يأتي هنا ليس إلا مجندًا حتى يحين وقته، أخذوه لتحمل خطأ أحد من الكبار، ولربما هيئتك الطيبة تلك والتي تشبه صورهم النمطية عن الإرهابي هي ما جعلتك أحد المجندين، هذا العالم يسير رأسا على عقب، أنا أتألم لكوني جزء من هذه الجرائم ولا أستطيع فعل شيء حتى لو تحدثت وقُتِلت سيكون موتي هباءً لا طائل منه، فأنا فرد يمكنهم الاستغناء عني في أي وقت، إحساسي المؤلم بقلة الحيلة شيّبني وأطفأ روحي، لم أعد أتحمل كل ما يحدث هنا وأظن أني ربما أقتل نفسي هنا يومًا".

لقد كان يستمع إلى كلام الحارس وقد انتابته غصة في قلبه ليكون الآن كل أجزاء جسده تؤلمه من الداخل والخارج، تبادر إلى ذهنه أن يهرب، ولكن كيف

ومتى وهو لا يقوم من موضعه إلا لجلسات التعذيب المؤلمة، حتى قطع تفكيره حديث الحارس يقول: "هل تعلم لقد فكرت مرارًا في تهريبك، ولكن للأسف لن يتعاون أحد هنا، وستقطع رقبتي حينها لأنه لا رقابة عليك سوى أنا، ولكن أظن أن هناك أمل، تماسك يا فتى سيكون الفرج قريبًا أنا أؤمن بذلك".

لقد عادت الروح لأوصاله قليلًا فقد رأى إشارة لأفكاره التي راودته قليلًا ولكن الغصة ما زالت تتملكه، أهي إشارة حقا أم أنها مجرد توارد أفكار كما قال علماء الأعصاب، ففقد الأمل بعد رؤيته أكثر ألما من عدم وجوده، ولكنه كان على يقين أن الأمر سيؤول للأفضل قريبًا سينجلي هذا الحزن يومًا، وسيتبدل حاله ويؤجر على صبره هذا عند الله.

فتح الحارس الباب ليفك سلاسل الفتى، وتوقف التعذيب لأيام حتى إن كمية الطعام زادت قليلًا، هدية لكنها ما زالت تعجيزية، ولكنها أفضل من الجحيم الذي كان فيه، مع كل لقمة تدخل جوفه كان يفكر في سبيل للهروب، ينتظر أن تعود له صحته قليلًا حتى يقوى على ذلك.

لقد كان الحارس يراه يوميا ويعقد النية على تهريبه إذا سنحت الفرصة لذلك، ولكن كيف والأماكن كلها مراقبة متى سيتم نقله لمكان آخر حتى تتاح فرصة ضئيلة حتى لذلك.

بعد وقت من الهدوء كانت أمامه فرصة للتفكير في العالم الذي انقطع عنه لأعوام، كيف صار الآن يا ترى من ينتظر عودته، ومن حتى يعلم أين هو، لقد اختفى دون أن يعلم أحد أين اختفى، كما لو أنه لم يكن موجودًا يوما ما، لقد نسيه العالم ربما ولكن هل نسيَته هي أيضًا أم ما زالت تذكره، هل تذكر أنه لوّح لها يوما وهو يبتسم، هل علِقت تلك الذكرى برأسها كما احتلت رأسه لا تفارقه البتة.

الآن جاءته هذه الذكرى مرة أخرى وهو يلوح لها من بعيد ويبتسم، ثم يأخذ نفسًا طويلا من هواء الوطن يتذكر ابتسامتها الجميلة، لقد كانت صديقة طفولته ولكنه كان يحبها، لا يعلم حتى إن كانت تبادله نفس الشعور، هو فقط يعلم أنها تسكن قلبه والآن لم يعد يعلم عنها شيئا، لقد قضى عمره كله معها حتى صار شابا، قضى عمره كله خارج بلاده الأم وكانت هي جارته التي نشأت معه، والتي صادف أنها هي أيضا من أصول بلاده، شريكة في الوطن

وشريكة في غربته، لقد كان حلمه أن يسافر منذ الصغر، وقد ابتسمت له الحياة وسافر وابتسمت أكثر حين رأى حبيبته، الآن تعطيه الحياة ظهرها وتبعده عنها، لكن سيهرب ويبحث عنها... حتما سيهرب.

طرق الحارس باب الزنزانة قائلا: "اقترب الوداع يا صديقي الذي لم أسمعه ينطق اسمه بعد، وأنا آسف لن أخبرك باسمي أيضا ولكن تذكر أن تدعو لي أن يخلصني الله من هذه المعاناة، سيتم نقلك لتكون بين أفراد آخرين لتكون ضمن تشكيل إجرامي صدقني إنها فرصتك الوحيدة، إن خطت قدمك قاعة المحكمة فستلبث في السجن باقي عمرك المحطم هذا، سأكون معك فانتظر إشارتي، اختبئ أو اهرب فكر بطريقتك الخاصة كل ما يمكنني فعله لك هو أن أتغافل للحظات عنك فقط لحظات يا فتى لا تتردد قيد أنملة أرجوك".

نزلت كلمات الحارس الدافئة على قلبه تغسل ما به من هموم، هو لم يتحرر بعد ولكنه استقى جرعات الأمل كالدواء، الأمل الذي لولاه لكنا قتلنا أنفسنا منذ زمن، كل ما يملكه هو أن ينتبه جيدا إنها لحظة الآن عليه أن يعض عليها بالنواجذ، لا يستطيع التفكير في كيف سيهرب فهو لا يعلم طبيعة المكان بالخارج، لم يخرج من زنزانته لأعوام، يا ترى ما يقبع في الخارج هل هي قلعة

بأسوار عملاقة أم أنها جزيرة معزولة أم أنها مدينة لا يعلم، فجدران زنزانته تحجب حتى ضوء النهار.

طرق الحارس الباب وصفد يده من الأمام بالأصفاد الحديدية، ودفعه ليختلط مع باقي زملائه من المجندين ظلما، كان الوقت ليلًا أو بالأحرى غابت الشمس للتو ليختلط لونها الأحمر بالسحب، وتترك لون الغسق في المكان.

أغلق عينه للحظات فهذا الضوء وإن كان بسيطا إلا إن عينه لم تستطع تحمله، إنها ضريبة أن تقبع في الظلام أعوام، أقل شعاع من النور سيحرقك قبل أن تعتاد عليه، لقد تنفس بعمق إنها أول مرة منذ وقت طويل تلمس قدمه أرضًا غير أرض الزنزانة إنها حرية بالنسبة له.

لم يتوقف كثيرًا فقد دفعه الحارس ليسير سريعا مع زملائه، ولكن كان للقائد رأي آخر، سيركب هذا الشاب في سيارة خاصة وحده، كما لو أنها هدية أخرى تهدى له من القائد الذي جلس معه سابقًا، ولحسن حظه سيراقبه الحارس الذي قد حرسه لعامين بالإضافة لحارس آخر، نظر الحارس لوجه الشاب طويلًا كما لو أنه سيودعه للأبد إما أن يختفي في غياهب الحياة أو يفشل في

الهروب وتأكله ظلمات السجون، مهما كان ما سيحدث إنها النهاية على كل حال، مال على كتفه وقال بصوت خافت: "لا تخذلني يا فتى".

إن محاولة الهروب شبه مستحيلة، كيف سيهرب وهو لا يعلم أي شيء في المنطقة ولا يعلم كيف سينزل من السيارة وهي تسير ولا يعلم متى ستأتيه الإشارة إنه فقط ينتظرها، ركب السيارة ونظر للمكان الذي شهد على مأساته، ودع جدران الزنزانة التي احتضنت جروحه، على الرغم من أنه حزين من برودة أرضها التي هشمت عظامه وهو نائم دون ملابس، وعلى صلابة أرضها التي أبلت جسده، وعلى ضيقها الذي لم يكن يستطيع أن يمدد قدمه حتى فيها، لكنه يودعها فقد شاركته كل لحظاته لأكثر من عامين، قال في هدوء: "الوداع يا معذبتي".

بعد وضع العِصابة على عينه وركوبه في السيارة وتحركها كانت تسير تلك السيارة بهدوء رتيب لا يعلم هل هذا بسبب الطرق المستوية للغاية أم أنه قد فقد إحساسه بما حوله فلم يعد يستطيع تحديد ماهية شعوره، يشعر كمن يتم سحبه للمقصلة، فقد كل إحساسه وإدراكه بما حوله حتى أفاق على ركلة من الحارس في قدمه ظن أنها الإشارة وقد كانت هي، فقد نظر له الحارس

وأومأ ثم ضرب الحارس الآخر بمؤخرة سلاحه لتكون هذه الضربة بمثابة إعلان للخيانة والتمرد، كانت السيارة تسير بطيئًا ولكن ليس بالبطء الذي يسمح بالقفز منها لكن الحارس أشار له قائلا: "لقد تحمَلت أكثر من هذا اقفز، وتحمل بعض الجروح والكسور، وربما الموت ولكن هذا أهون مما ستراه بعد الآن، إما الآن وإما فلا".

# (2)

نظر في اندهاش من الموقف برمته، وقد كان الحارس الآخر يستعيد وعيه فلم تكن الضربة بالقوة الكافية، قرر القفز إنها الفرصة الوحيدة الآن سيتحول الأمر لمجزرة إن تأخر، قبل قفزته بثانية ناداه الحارس بعدما أزال قناعه لأول مرة أمامه "أيها الشاب.. تذكرني."، وركله بقدمه ليقز على جانب الطريق، وهو يلوح له مبتسمًا.

كانت القفزة مؤلمة جدا فلقد سقط على طريق من الأسفلت بجانبه منحدر في نهايته مقابر، قد رآه السائق وهو يسقط فضغط مكابحه بسرعه ليلحق به، لكنه كان قد تدحرج على طول المنحدر ليسقط بين المقابر، قام وقد ملأت الكدمات جسده ليركض بعيدا عن هؤلاء الجنود، ولم ينظر خلفه لمرة حتى، وإذ به حين يختفي بين الشواهد يسقط في حفرة كانت الأرض فيها هشة لتنهار فوقه بعدها ويفقد وعيه للحظات.

حين فتح عينه وجد أنه في مكان يشبه القبر ولكنه ممر طويل يمكن السير فيه كان الممر يحوي عظامًا حوله ارتعدت أوصاله لكن الأمر لن يكون أسوأ مما ينتظره بالخارج، سار قليلًا في الممر لعله يكون سبيل نجاته، ولكن الممر كان يضيق أكثر فأكثر، حتى وصل لنقطة ما بعيدا عن موضع سقوطه، حاول أن يصنع ثقبا في أي مكان ليرى ما الذي يحدث، وقد فعل ليجد الجنود يمشطون المنطقة يمينًا ويسارا لم تكن الرؤية جيدة فالثقب كان ضيقًا ولا يظهر إلا مصابيح الجنود وهم يتحركون، هو لا يريد التحرك حتى لا يُسمع صوته، لكن لسوء حظه كان في الخندق الذي يجلس فيه قِط صغير حديث الولادة، حين شعر بوجوده لم يكف عن إصدار المواء، لقد علم أنها النهاية فلوو تبع الجنود صوت المواء هذا لعثروا عليه هم لن يروا الثقب بسبب الظلام، ولكن الصوت سيدل على مكانه ربما.

رأت القطة الأم الجنود يعيثون في المكان فاتخذت وضع الهجوم لتصرفهم عن مكان ولدها، وقد رأى الشاب أنها ما تصرفهم إلا عنه، ولكن هؤلاء قوم لا قلوب لهم، وحوش تسير على الأرض، فلم يهدأ أحد الحراس حتى ركل القطة بقدمه لكنها عادت مرة أخرى فانهال عليها بالركلات حتى قتلها لتسيل الدماء

من فمها وجسدها، كان المشهد يقتل في قلب الشاب فلقد كانت تلك حالته من أيام تحت تأثير ركلات قوم لا يعرفون الشفقة ولم يطرق الخوف من الله قلوبهم يومًا.

نظر للقط الصغير القابع بجانبه، كيف سيعيش هذا القط يا ترى لقد قُتلت أمه بأبشع طريقة قد يحصل عليها أحد، ظل القط الصغير يصدر صوتا حتى صاح الحارس "أين هذا اللعين لأجعله يلحق بأمه"، هنا سقط قلب الشاب في قدمه، فإن تحرك شبرا سيعرفون مكانه، وإن وجدوا القط سيجدونه، يا إلهي لقد انتهى الأمر الآن.

نادى الحارس الآخر صديقه قائلا: "دعك من القط اللعين وتعال أظن أنني وجدت أثر أقدام هنا." سمع الشاب تلك الكلمات وظل يقول في نفسه "هيا استمع لصديقك واذهب، هيا دع القط وشأنه أرجوك".

كان يقول تلك الكلمات في نفسه والدموع تبلل وجهه والتراب تحته، حتى إن الغبار الذي قد ملأ وجهه قد اختلط بدموعه فصار وجهه كالطين متشققًا، كان يبكي ويدعوا أن يذهب الحارس خلف صديقه، وما اطمأن حتى قال "لقد كُتب لك عُمر جديد أيها القط اللعين أقسم لو كنت رأيتك لقتلتك"، قالها

وانصرف، ليتحسس الشاب القط الضعيف الذي قد غطاه التراب حتمًا إثر كل هذه الحركة، وقد كان في نفق شبه تحت الأرض.

انصرف الحراس يبحثون في المنطقة، وقد ظل الشاب يبكي بكاء الثكلى، لكن دون أي صوت، يحاول أن يشعر بالأمان قليلًا، ولكن كيف في هذا الظلام المخيف داخل هذا النفق الضيق، وأمامه جثة القطة المسكينة وبجانبه قط صغير قد يموتان جوعا، إن ما فيه لا يختلف عن زنزانته شيئا سوى صوت القط، ظلت الأحداث تتهافت على رأسه حتى اخترق ذاكرته ما قاله له الحارس قبل أن يقفز "أيها الشاب.. تذكرني"، يا ترى ماذا حل به الآن، لا يستطيع التفكير سوى أنه قد سبقه إلى ربه الآن بعدما اخترقت رصاصة أحد الجنود رأسه، فالخائن لا يستحق الحياة.

لقد غفى من التعب في مكانه غفى لدقائق واستيقظ على سكِّين موضوع على رقبته، لم يصدر صوتًا ولم يعلم من هو هذا الشخص صاحب السكِّين، هل تم القبض عليه مجددا أم ماذا، هل ستحل نهايته الآن.

دام الصمت للحظات حتى همس حامل السكِّين "لا تتحرك ولا تجزع ولا تصدر صوتًا فالشرطة ما زالت في الأرجاء حاول أن تتبعني ببطء وأحضر القط الصغير معك".

تبعه في صمت بعدما حمل القط الصغير ولكن كان الزحف بتلك الأصفاد والقط صعبًا قليلا، ولكن لا خيار آخر، عليه أن يتحرك هذا أفضل من الوقوع في قبضة هؤلاء المجرمين، كانت الانفاق طويلة وكثيرة التفرعات ولكن من يسير أمامه يبدو على علم جيد بها حتى وصل معه إلى غرفة كانت أوسع من الأنفاق قليلًا قال له حامل السكِّين "يمكنك النوم الآن لن يصلوا إليك"، كانت الكلمات تثلج صدره على الرغم من بساطتها ولكن ما مر به ليس سهلا، لقد تمدد على الأرض الترابية ووضع القط الصغير على صدره واحتضنه بذراعه ذات الأصفاد وقال "ربما سنتشارك السرير اليوم يا قطي الصغير، أعتذر فأنا أيضا جائع مثلك".

أعوامه التي قضاها في تلك السجون لم تكن كافية ليفقد رقة قلبه ونقائه، لطالما كان يتقوى على هذا العذاب بالصبر والدعاء لعل ذلك يكون طريقه للجنة، لا يعلم هل كانت تلك الفترة اختبارًا لصبره أم ماذا، فمحاولة هروبه

سارت بشكل أبسط من الطبيعي، ماذا سيحدث الآن هل سيلاحقه هؤلاء الوحوش مرة أخرى أم سينسون أمره ويجدون غيره، لقد أتت كلمات الحارس في رأسه عن كونه أكثر من تعذب في هذا المكان، وظل يفكر ما السبب، على الرغم من كونه متعاونًا فحين يخبره الشخص الذي أمامه أن يعترف كان لا يرفض الاعتراف، لا يعلم بماذا يعترف ولكنه لم يكن يرفض، هل كان متعاونًا للدرجة التي أفقدت المعذِّب متعته أم ماذا.

كان يفكر كثيرًا في حاله الآن من هو صاحب السكِّين ولماذا يساعده، ماذا سيفعل وأين سيذهب الآن، لم يستطع إلا أن يستسلم للنوم ليهدأ باله قليلًا عسى أن ينال ما لم يحصل عليه من أعوام وهو النوم دون انتظار مختلف الآلام في الغد.

استيقظ من نومه حين سمع مواء القط الصغير قد زاد إنه جائع بالطبع فقد كانت الليلة صعبة عليه، اعتدل من مجلسه وحاول إخراج يده من الأصفاد ولكنها كانت ضيقة فلم يجد خيارًا آخر سوى ما سمعه في الكثير من الأفلام، نعم سيكسر إصبعه، تردد قليلًا قبل فعل ذلك ولكن في النهاية قال لنفسه: "هل بعد كل ما مررت به سيكون كسر إصبعي صعبًا، بسم الله."

عض على أسنانه من الألم لدرجة كاد يكسر أسنانه فيها، لكنه تحمل الألم حتى لا يفزع القط الصغير، حاول حمل القط باليد الأخرى والتربيت عليه حتى يهدأ قليلًا، حينها. أتى صاحب السكِّين لقد رآه بوضوح فالغرفة كانت تحت الأرض لكن أشعة الشمس كانت تتخللها من عدة أماكن، حين رآه صاحب السكِّين جرى ناحيته وقال له: "ماذا فعلت أيها الأحمق، لقد جئت لك بقاطع للأصفاد، لماذا لم تنتظر قليلًا".

كان ينظر لحامل السكِّين دون الحديث فقد كان يشعر بألم شديد أفقده النطق قليلًا ولكنه أشار للقط، فأتي حامل السكِّين بقليل من اللبن وأطعم القط، ثم قال له "تعال سنذهب من هنا للطبيب ليعالجك أولا".

كان يسير خلفه دون أن يتحدث أو حتى يسأل من هو ولماذا يقدم له المساعدة، ولكن لا يهم على الأقل لم يؤذه بعد، كانت الأنفاق كثيرة التفرع والسير فيها صعب فيجب أن ينحني ظهرك لتستطيع السير وكان التراب يتساقط من سقف النفق، ولكنه أمسك بالقط تحت صدره حتى لا يختنق بسبب هذه الأتربة، قاطع شرود أفكاره حامل السكِّين يخبره بأمر المكان الذي هم فيه قائلًا: "كانت هذه الأنفاق لنقل الطعام وقت الحرب، والغرفة الكبيرة

هي غرفة التخزين، لا يمكن كشفهم بسهوله لأن كل هذا يعتبر تحت شواهد القبور والمنطقة جبلية فلا يذهب الشك لها في الغالب، أنا لا أسكن هنا ولكن أحب السير واكتشاف الأماكن وقد شاهدت الموقف من أوله، وكيف قتل هؤلاء الملاعين القطة بكل وحشية، أنا من تركت آثار الأقدام التي صرفت الحارس، لا أعرفك ولكن أعلم أنك لست سيئًا فمن يستيقظ وهناك سكِّين على رقبته دون أن يفعل شيئا هو شخص قد رأى أسوأ من السكِّين بكثير، لا أعلم مدى بشاعة ما فعلوه بك، ولكن لا تقلق أنت في أمان الآن، وهذه إجابات على كل الأسئلة التي تدور في رأسك".

كان يستمع فقط دون أن ينطق بكلمة، ولكنه نجى الآن كما كان يعتقد، لم يعلم أنّ من يأسِره الخوف لا ينجو أبدًا.

بعد خروجهم من الأنفاق نظر حوله لتحرق الشمس عينه، الشمس التي لم يرها لأعوام، لقد كاد ينسى شكلها، حين نظر له صاحب السكِّين شعر بالشفقة على حاله، فوجهه الشاحب المليء بالأتربة المختلطة بالدموع والدم قد رسمت على وجهة آثار معاناة حقيقية، الدماء كانت تغطي لباسه الأبيض فلم يكن يشعر بالجروح التي غطت جسده أثر السقوط من المنحدر، لقد

انشغل بالنظر حوله ورؤية الرمال الذهبية وأشعة الشمس، نظر ليرى شواهد القبور من بعيد ثم رأى صاحب السكِّين كمخلص أنقذه من براثن الموت، إنه رحمة جاءته من عند الله، فقال في نفسه: "لقد كنت معي دومًا يا الله، فلا تهلكني مع هؤلاء الظالمين". وأغلق عينه وبسط ذراعه التي كَسر فيها الإصبع وقال للقط الذي يحمله على ذراعه الأخرى: "استمتع قليلًا أيها القط الصغير، فالدنيا لن تعطيك الراحة كما تريدها دومًا".

قال صاحب السكِّين محاولا جعله يتكلم: "لماذا سُجنت؟"

فرد عليه قائلا بعد القليل من التأمل وتذكر بعض أحداث الماضي: "صدقني حتى الآن لا أدري، كنتُ بيدقًا كما قال لي حارس الزنزانة لكن أنا حتى لم أعلم بعد فيما كُنت سأُستخدم، كل ما أعلمه أني عانيت كثيرًا حتى هذه اللحظة."

أومأ صاحب السكِّين رأسه دلالة على فهمه وأردف قائلًا: "للأسف أصبح ذوو المناصب شعلة تحرق ما يقع أمامها، يظهر جشع الإنسان الحقيقي حين يملك سلطة، أعط إنسانًا سلطة على من هو دونه واتركه وستجد وحشًا مستبدًا لا يمكن إيقافه، إنها أسوأ ما قد يريك الإنسان على حقيقته، لا أعلم ماذا بعد حكم العالم، ماذا سيفعل هذا الشخص بعدها، إنه لأمر محزن أن

تكون جزءً من عالم كهذا، لكم أرجو أن يكون هذا شفيعا لنا يومًا لندخل الجنة".

لم يكن الأمر صعبًا ليفهم طبيعة ما آلت إليه الأمور من حديث صاحب السكِّين، لقد توقع أن الأرض قد صارت فسادا والظالمون يعيثون فيها كالجراد، لابد أن الفقر والجهل متفشي، لا يستطيع تحديد ما طبيعة الحال بدقة فهذه المنطقة الصحراوية التي هو فيها الآن لا توحي بأي معالم، قال بعد شرود قليل: "في أي عام نحن".

نظر له صاحب السكِّين واتسعت حدقتاه متعجِبًا من سؤاله، ألهذا الحد قد طُمس عقله حتى أنه لم يعد يدرك الزمن، أم أنها مجرد زلة أفكار، ولكن من يزل في تذكر الأعوام، لكن أخبره بالشهر والعام، ليعود الشاب بذكرياته سريعا قبل ثلاث سنوات حين كان يجلس في الطائرة جانبها وهو يقول لها قبل هبوط الطائرة مباشرة: "الآن عدنا لموطننا أتمنى أن نلتقي مجددا هنا بعد أن تستقري، لا أعلم أين سأسكن ولكن سنظل على اتصال ربما فلا تنسي صديقك يا فتاة".

يتذكر ردها عليه وهي تبتسم:" لا تجعل فقط غِمار الحياة يلهيك عني، لا تقلق سأتصل بك."، تذكّر أنهما نزلا سويا من الطائرة ولوّح لها نعم كان هذا اليوم من ثلاث سنوات، يا ترى ماذا حل بها الآن.

"أخبرني أيها الصديق، أين نحن الآن فأنا لا أرى أي دليل على الحياة في هذا المكان."، أجاب صاحب السكِّين:" نعم لقد ابتعدت بك عن البلدة قليلًا فمن المرجح أن الجنود يقلبونها رأسا على عقب الآن، فهي أقرب مكان لموقع سقوطك، وهم أغبياء لدرجة أنهم سيعتقدون لفترة أنك تختبئ هناك، نحن الآن في "صحراء الذهب" منطقة مهجورة أُطلق عليها هذا الاسم لشدة صفرة رمالها لتكون شبيهة بلون الذهب حقًا، تعيش هنا بعض القبائل لكن في طريق سيرنا هذا سنذهب للمدينة التي على الجانب الآخر من الصحراء، فهذه الصحراء ليست كبيرة كما يبدو إنها منطقة من الرمال تتوسط أكثر من مدينة، ولا تقلق حين سنصل إلى المدينة سنختلط بالناس ولن يتعرف عليك أحد بعدها، كل ما في الأمر أننا نريد أن نجعلك بشكل أفضل قليلًا".

أجاب الشاب قائلا: "لقد كنت أقطن دولة غير هذه الدولة، وقد عدت دون أن أعلم أين منزلي فقد كنت سأذهب لأحد أصدقائي، لكن قُبض عليّ حين نزلت من الطائرة، فلا أعلم منزلي ولا منزل صديقي الآن".

شعر صاحب السكِّين بالمسؤولية تجاهه وأيضا كما قال له الشاب ثلاث سنوات كفيلة بأن يعتقد صديقه أنه اختفى حتى لو كان يبحث عنه أحد لربما يئس الآن فالحياة صعبة تُنسي الرجل نفسه، فكيف سيتذكره أحد، يا له من مسكِين سيعاني في هذه الحياة، "انظر يا صديقي لقد اقتربنا من البلدة، ومن رأيي أن تنسى حياتك القديمة وتبدأ من جديد بهوية جديدة ومنزل جديد فلم تعد الحياة كما كانت في السابق، إن استطعتَ توفير طعام لك فهذا جيد ستكون حالك أفضل من الكثير من الناس، فلا تجعل سقف طموحك يعلو الآن حتى تستقر في مكان ما".

أومأ له مدركًا لما يحاول إخباره به، ولكن لم يبتئس فقد أنعم الله عليه بحياة جديدة يمكنه أن يبدأ فيها من جديد لا يهم، ظل ينظر حوله حتى رأى المدينة من بعيد، فنظر للقط الصغير النائم على ذراعه وقال: "أظن أنك ستكون

صديقي من اليوم يا فتى، وأظن أن أمامنا رحلة طويلة معًا، أرجو أن أكون صديقًا جيدًا بالنسبة لك".

وصلوا لمشارف المدينة فأخبره صاحب السكِّين أن ينتظر هنا حتى يأتي له ببعض الملابس. والماء حتى يغتسل ويغير هندامه، ثم يذهب به للطبيب لعلاج جروحه وقد فعل، غير ملابسه وأحرق التي كان يرتديها، وصب الماء على رأسه لكن برودة الماء ذكرته بالماء المثلج في الزنزانة فلم يستطع إلا غسل وجهه ورأسه حاليا، حين أخذه صاحب السكِّين وذهبا لطبيب يعرفه كان الوقت يقترب من العصر وكانت يده قد تورمت بالفعل بسبب الوقت الطويل الذي قطعوه في المشي، لقد علم الطبيب أن هذا بسبب كسر الإصبع للخروج من الأصفاد ففكر أن يخبر الشرطة بالأمر فقد ظن أن صاحب السكِّين مهدَد من قِبل هذا المجرم، ولكن ما أن نزع الشاب ملابسه وظهرت الجروح والندبات وآثار الحرق والجرح والعذيب على جسده أدار الطبيب رأسه من الخوف، كيف لجسد مثل هذا أن يكون حيًا لليوم، ولم يكن الشاب قد أدرك مدى بشاعة جسده وجلده فلقد كان في السجن يحمل هموما أكبر من الاهتمام بمظهره.

أخبر الطبيب الفتى صاحب السكِّين أن عليه أن يتركه عدة أيام عنده سيحاول أن يعالج ما يمكن معالجته فيه، ولقد كان فضول الطبيب يقتله عن سبب فعل هذه الجريمة الوحشية فيه، وربما كان الوقت كافيا ليحكي له الشاب ما مر به.

غادر صاحب السكِّين وودع الشاب قائلًا "كن حذرًا يا صديقي فربما لن تجدني مرة أخرى"، ها هو الآن يحمل عبئًا كبيرا على عاتقه، لقد كان سببًا في مقتل صديقه الحارس، والآن سيبدأ في السير وحده بعدما غادر صديقه صاحب السكِّين، نعم هو لا يعرف أسمائهم بل فقط يعرف أنهم أصدقاء حقيقيون، عرفوه وقت الشدة ولم يتخلوا عنه، لقد قدم كل منهم ما يملك ليساعده، هناك دَين شُكر كبير لهم عليه تسديده.

"أخبرني أيها الطبيب، في أي جزء نحن من هذه الدولة"، قال الطبيب مطرقا رأسه قليلًا: "نحن في الجزء الفقير منها، فمنذ سنوات بدأت الموارد تتناقص أو هكذا قالوا لنا، ونتج عن هذا التناقص زيادة كبيرة في أسعار المنتجات، في حين أن الدولة كانت تهتم بتطوير بعض المناطق أكثر من اهتمامها بتوفير الغِذاء، وحين يشتد الأمر على الطبقة الفقيرة وتبدأ بعض الأصوات في

الظهور يؤخذ بعضهم ويمثل بجثته على أنه خائن تابع لطائفة ما تريد تخريب البلاد، كما لو أن البلاد عامرة أصلا، تعوَد الناس على هذا الأمر ففضلوا الصمت على الموت، وهي أيام تمضي".

كل كلمة كانت تقع على مسامعه تفتح تفكيره لأمور أكثر، فقال متسائلا: "ولماذا يصمت الناس، أنا كنت خارج البلاد ترعرعت خارجها، لا أعلم طبيعة الحال هنا، ولكن كيف يتوقف الناس على هذا الظلم لماذا لا يتحدث أحدهم".

انفجر الطبيب ضاحكًا وأشار إليه قائلًا: "أبعد كل ما جرى لك لم تفهم لماذا يصمت الناس، انظر لحالك يا فتى نحن بالكاد نحاول إحياءك، الناس هنا وإن لم يكونوا قد أصابهم ما أصابك إلا أنهم يحاولون فقط الحياة، لقد خسروا الكثير وذهب الأمل منهم، لم يعد يهمهم ماذا يحدث أو بالأحرى لم يعد عندهم الوقت في التفكير فيما يحدث، إنهم يحاولون فقط كسب قوت يومهم، يخشون أن يمرضوا لأن العلاج سيترتب عليهم عدم تناولهم الغداء يومين، من سيهتم بالظلم وهو جائع، كمان أن الآباء ذوو المسؤوليات الذين قد تأَمن لهم مصدر للرزق لن يفرطوا فيه في هذا الزمن، فيبقى الحال كما

هو عليه، الناس كان لديها الأمل يوما ما، ولكن الآن لم يعد لديهم أي شيء يخسرونه سوى حياتهم، ولذلك لن يفرطوا في آخر ما تبقى لهم".

كان الأمر واضحًا من البداية ولكن لم يأت هذا لتفكيره الأمر ليس مجرد سلطة تحاول إخفاء جرائمها وتلفيقها للشباب واتهامهم بما لم يفعلوا، الأمر أكبر من مصالح فردية، إنها مصالح طبقية، تقسيم البشر لفئات، لتكون النخبة هي من تستمتع بالحياة، والباقي يموتون جوعا فإذا شبعوا قليلًا وُضع أمامهم ما يصمتهم ألا وهو محاولة قمع الإرهاب الذي يتربص بهم، أن تموت جوعًا هو موت عادي، لكن كيف تموت مقتولًا.

كان يعلم أن الإرهاب معناه التخويف، أليس الخوف من الجوع والمرض خوف، لماذا لا يحاربهم أحد، ربما سيخسر الأغنياء ثرواتهم بسبب ذلك، قال سائلًا الطبيب مرة أخرى: "هل يحدث ذلك في بلد غير هذا؟" نظر له الطبيب وعدل من وضع كرسيه وقال: "جميع بلاد العالم بها هذا الصراع الطبقي، يمكنك السيطرة على الإنسان لكن لا يمكنك أبدا قمع جشعه، هل تظن أن هؤلاء الفقراء لو أتتهم الفرصة سيساعدون بعضهم؟ أقسم لك أنه لو امتلك أحدهم عصى وحرية الضرب لانفلت على كل من قابله، الأمر غير متعلق ببلد

معين وإنما بطبائع، الناس نسوا الدين ونسوا الأخلاق ونسوا الموت، يتمسكون بالحياة بمخالبهم، كما لو أنهم سيُخلدون فيها، من حيث أتيتَ أنت الأمر سيان ولكن حقوقك أكثر بقليل، لأن سياسات القمع تختلف، فالمعلم الذي يضرب بالعصى سيُسكت طلابه، والمعلم الذي يعطيهم الحلوى سيُسكتهم حتى وإن كان نوع الحلوى رديئًا إلا أنها ما زالت حلوى، وهكذا تسير الأمور، سيلتهي الصبيان بالحلوى ولن يهتموا أن الحصة لم يتم شرحها، أما الآخرون فسيفضلون الصمت خوفًا من العصى، حتى لو تكلم أحدهم فسيشتكي لأحد يفعل مثل المعلم إما يضرب بالعصى أو يعطي الحلوى، إنها سلاسل لا تنتهي من القمع الفكري، فلماذا سيبذل أحدهم جهده ليغير شيئا لن يتغير إلا في حالة واحدة يرفضها الجميع وهي اتباع الدين".

رد الشاب وقد ظن أنه أمسك طرف الخيط: "إذن لماذا لا يقف علماء الدين ليثقفوا الناس، أليس هذا دورهم".

قال الطبيب بأسى: "يسمع الناس من صوته أعلى، البشر كسول إلا بعضهم، فلا يهتم أحدهم بالبحث عن الصحيح، فينتظر ما يأتيه من المعلومات في مكانه ولذلك يصل الأعلى صوتًا، لو جلست ليلًا وسمعت الأذان ستظن أنها

صلاة الفجر وتصلي، لن تنظر للساعة وستستخف بمن يخبرك لمَ لمْ تنظر في الساعة، وستقول كيف سيؤذن في غير معاده، كما لو أنه تفكير بديهي، ولكن في الحقيقة أنه يجب تحري الوقت، فربما أخطأ المؤذن أو أنك توهمت الأذان، وفي كل الأحوال أنت لن تهتم فقد صليت وانتهى الأمر وظننت أن ما طُلب منك فعلته وكفى، وهذا معنى سيسمع الناس من صوته أعلى، علماء الدين يتحدثون لكن الأعلى صوتا يُكَذبون ما يقولونه فلمن سأستمع؟ بالضبط للأعلى صوتا، كما أن الهوى يفتِن، فالدين لا يمشي على الهوى وإلا ما كانت لقيوده داعي".

تمدد الشاب على السرير ليطبب له الطبيب بعد الجروح وذهب في تفكير عميق بعدما ظن أنه فهم ما قاله الطبيب، ظل يتذكر أيامه خارج البلاد، وعن انبهاره بأحد الفنادق التي عمل بها، وقد رأى أحد أفراد الأمن تتم إهانته من أحد الزائرين بسبب سؤال فرد الأمن عن وجهة الزائر فقد كانت الساعة تجاوزت منتصف الليل ويُمنع الدخول، ولكن كيف له أن يسأل إنه مجرد فرد أمن على الرغم من تقاضيه مبلغًا كبيرًا من المال يكفيه لشراء سيارة إلا أنه ما زال في مستوى متدني بالنسبة لغيره، نعم إنها قطعة الحلوى التي تعطى

له لإسكاته، الأمر متفشي فعلا، لكن كيف يسيطر الجهل على المجتمع بتلك الطريقة؟

تذكر كلام الطبيب منذ قليل إنه الكسل، لماذا أبذل جهدا لأجلب الهاتف وأنظر للساعة في حال أني سمعت صوت الأذان من مكاني، لماذا أتعب؟ كان لوقع الجملة على رأسه تأثيرًا غريبا، لماذا أتعب!؟ أليست هذه سنة الحياة أن يظل الإنسان في كبَد؟ إذن لماذا لا يبحث الإنسان عن الحقائق بنفسه طالما أنه في كل الأحوال سيعاني؟ كان هذا السؤال الذي وجهه للطبيب بعد صمته القليل، ليرد الطبيب قائلا: "لقد صار وهم المناصب ملازما لعقول الناس، يعني أنت مستسلم للعلاج عندي لمجرد أنك رأيت أني طبيب وعندي عيادة، ربما ستتألم قليلا جراء المطهرات وغيره ولكنك ستصبر كل هذا لأنك ظننت أني تقلدت منصبي هذا عن عِلم، وأن الألم فيه طبيعي، أنت توهمت منصبي فربما أنا لست طبيبا وربما ذلك الألم الذي تشعر به كان بسبب أخطائي فأنت لا تعلم، وأنا من مصلحتي أنك لا تعلم لأنك لو علمت ستنفلت بالضرب عليّ، أنت اخترت مكابدة الألم باختيارك لأنك حمّلت مشاكلك على غيرك، وهذا الألم كان باختيارك، وهذا ما يجعل ضميرك مرتاحًا أن أي خطأ

لن يكون على عاتقك، فأنت تفكر إذا كنتُ في كل الأحوال سأعاني، لماذا أحمِل عبئ البحث على عاتقي، وكل ما أحتاجه يصل إليّ دون مشقة، لا يهم مدى صحته، ولكن هو من أتى إليّ".

نظر الشاب للقط النائم بجانبه وقال: "ربما سنعاني قليلًا بعدُ في هذه الحياة يا قطي الصغير".

- "بماذا تنصحني أيها الطبيب؟"
- "أن تسير بين الناس وانظر ماذا تريد أن تفعل في الباقي من حياتك، ربما ستسير وحدك للنهاية، وربما تشتعل داخلك الآن نار تغير العالم، ولكن لا تمت هباء لا تحاول إصلاح شيء طالما لا تملك قوة لذلك، لا تدع الحميّة تضع غشاوة على عينك، انظر في وجوه الناس وفكر ماذا يمكن أن تفعل لهم دون أن تعطهم أملا زائفا لا تستطيع أنت تحقيقه، شاهد بنفسك وحدد ما تريد فعله قبل موتك".

جلس لمدة أسبوع عند الطبيب يطبب جراحه، يبيت في مكتبه الذي يحتوي على سرير صغير للمرضى لكنه كان يستخدمه للنوم، يستلقي ويفكر كثيرا فيما سيفعل وكيف سيفعل، لم يعد لديه شيء الآن لقد ودعه الحارس

وودعه صاحب السكِّين والآن سيودعه الطبيب، يكفي ما فعله من أجله فلقد اعتنى به وبقطه لأيام لم يسأله حتى عن اسمه أو عن سنه، فقط كان يريد أن يرى خيرًا على يديه، ظل يتذكر يوم أن نزل من الطائرة هل قالت له وداعًا وهو يلوح لها، هل ودعته هي الأخرى أم هناك أمل للقاء مجددا.

عدل هندامه وأخذ قطه وارتدى قناع وجهه، وقال للطبيب قبل أن يغادر: "شكرا لك أيها الطبيب لن أنسى لك صنيعك هذا، أرجوك أبلغ سلامي لصاحب السكِّين، أنا لا أعرف اسمه ولكن أبلغه سلامي فلقد ساعدني كثيرا."

أجاب الطبيب باسمًا: " لا أحد يعلم اسمه هو فقط عابر سبيل، إذا رأيتُه مرة أخرى سأخبره بذلك أعدك".

همّ بالمغادرة حتى أوقفه الطبيب قائلًا: "أيها الشاب... تذكرني".

(3)

حمل القط الصغير بين ذراعيه وكان القط أول ما فتح عينه عليه كان وجهه، ليبادره بابتسامة قائلًا: "الآن يا صديقي يمكننا رؤية العالم سويًا يا ترى من أين سنبدأ". ليصدر القط مواء يخبره به "أنا معك أينما ذهبت".

سار بين الطرقات لا يعلم أين هو ولا أين سيذهب، ولكن من نجاه طوال هذا الوقت لن يتركه أبدا، ظل ينظر حوله بين المباني المزخرفة والمنشآت الضخمة، ألم يقل الطبيب أنهم في بلدة الفقراء كيف لأولئك الناس بمظاهرهم تلك أن يكونوا فقراء، لم يقطع أفكاره سوى صوت معدته تقرقر، لينظر للقط ويخبره: "ما رأيك أن نذهب لتناول بعض الطعام، لابد أنك جائع". ليصدر القط مواء كأنه يخبره "نعم"، فيجيب عليه بعتاب: "لماذا لم

تخبرني أنك جائع من البداية هل يلزم أن أخبرك، رجاء حينما تشعر بالجوع مرة أخرى أخبرني، لا تشعر بالخجل، فنحن معا في النهاية"، أسند القط رأسه على ذراعه مغمضًا أعينه، كما لو أنه وجد ركنه الآمن في هذه الحياة، ليقول له في هدوء: "شكرًا لأنك معي يا قطي الصغير، أتمنى ألا أخذلك أبدا".

ظل يسير باحثا عن مكان يستطيع أن يتحصل على الطعام منه، ولكن لم يكن يرد الإسراف في المال الذي أعطاه له الطبيب فهذا المال يجب أن يكفيه لمدة حتى يحصل على عمل، وجد بائعا للخبز يجلس في الشارع، لا يبدو أن الخبز طازج ولكنه أفضل من لا شيء الآن، كان على وشك الشراء ولكن كان هناك رجل علا صوته على البائع، يبدو أنه يعترض على ثمن الخبز، ولكن مهلا، لماذا شخص بهذا المظهر الفارِه أن يعترض على ثمن خبز، يعلم أنه مكث بعض الوقت في السجن لكن لن يصل ثمن الخبز لسعر يجعله محطّ جدال.

اقترب ليستمع إلى السعر فوجد أن الثمن زهيد ولكن لماذا يعترض هذا الرجل، فاقترب بهدوء وقال: "يا عم، ما المشكلة وسأحاول حلها معك".

ليرد الرجل بغضب بادٍ على وجهه: "يريد أن يعطيني رغيف الخبز بثلاثة سنتات وهو في كل الأماكن بسنتين، إنها سرقة واضحة".

لقد كان يظهر على البائع مظاهر الفقر المدقع، أما المشتري فظاهره لا يوحي بأن السنت سيضره في شيء إنه يحمل هاتفا أراهن أنه يتجاوز الألف دولار، كيف لسنت أن يهمه لهذه الدرجة، ولكن لقد فهم قليلًا حال هذا الرجل، هو إما بخيل جدا أو فقير جدًا لكنه متظاهر، فقال في هدوء ليمتص غضبه: "لا تحزن يا عم، خذ ما تريد وأنا سأدفع لا تقلق". لم يمانع الرجل أبدا بالفعل أخذ بعض الخبز ومشى دون حتى أن يقول شكرًا وظل يتمتم ببعض الكلمات سمع الشاب بعضها كما لو أنه يقول "لقد انتشرت السرقة"، جلس الشاب بجوار البائع مواسيًا: "لا تحزن يا عم، ربما حاله صعب قليلا أو ربما فقد ماله فلم يستطع الدفع وقد منعه كبرياؤه أن يسير خالي الوفاض".

ليرد الرجل العجوز قائلًا: "أنا أبيع الخبز منذ سنوات، لم يعترض أحد أبدا على ثمن الخبز إلا في الآونة الأخيرة، على الرغم من أن السعر لم يتغير، لا تخدعك المظاهر هنا، كلهم فقراء ولذلك أنا لا أهتم لتلك الجدالات".

قال الشاب متعجبًا مع ضحكة تشوبها بعض السخرية: "كيف فقراء، أنا غائب منذ زمن عن البلد لكن يستحيل ألا أعلم أن ثمن هاتفه يتجاوز الألف دولار على الأقل، نحن الفقراء يا عم".

ابتسم العجوز وقال: "أنت حقا لا تعلم شيئا يا غلام، هل تظن أني لا أعلم ثمن هاتفه، أو لا أعلم حاله، كل ما حولك الآن هي مظاهر كاذبة ستسير في السوق وترى كلهم فقراء، هل تعلم كم من الشهور عمِل هذا الرجل ليشتري هاتفه، هل تعلم أنه لا يحسن استخدامه أصلا إنه فقط يحمله ليظهر بمظهر الغني، فالناس تحترم الأغنياء، لكنه في الواقع فقير معدَم".

فهم الشاب كلام العجوز كما فهم كلام الطبيب، إنهم أناس فقراء ليس فقط المال، إنما فقراء في العلم، وفقراء في الأدب، فقراء في العقل، "ولكن ما بال أولئك الناس في المقاهي الفخمة التي أمر عليها والمطاعم والتي لابد أن الأسعار بها مرتفعة للغاية، هل هنا جزء غني لا يرهقك في التعامل؟" قالها وهو ينظر للعجوز مستنكرا كلامه، ليرد العجوز قائلًا: "كما أخبرتك جميع من هنا فقراء، إنهم فقط يظهرون بالمظهر الذي يظنون أنه يرفع من شأنهم، أحدهم يذهب لمطعم يدفع ما عمل بيه طوال الشهر في وجبة ولا يشتكي، لأن هذا المكان لو اعترضت فيه فستهتز صورة الغني التي يرسمها لنفسه، الجميع هنا يظنون أن هناك من ينظر لهم أو يهتم لغناهم أو فقرهم، لكن حب المظاهر قد أعمى قلوبهم فلم يعد هناك أمل في تغيير تلك النفوس المريضة، هل تعلم

أنا أحقد على تلك المطاعم، ليس لما تكسبه من مال وإنما لأنها لا تتورط في جدالات تافهة على بضع سنتات لا تسمن ولا تغني من جوع، هل تعلم يا فتى لو ذهبت لأي أحد ممن تراه أمامك لتخبره أنك بحاجة إلى سنت تسد به جوعك، ربما سيقوم بتصويرك وجعلك أضحوكة أمام الجميع، فقط ليكون محط الأنظار، هؤلاء ليسوا بشرًا إنهم مرضى، كل هؤلاء مرضى، ولكن كيف ستقنعهم بذلك وأنت مجرد بائع للخبز في شارع يضج بمتظاهري الغنى، يدفعون للأغنياء عن طيب نفس، ويتشاجرون مع الفقراء أمثالي، إنهم أناس لا طائل من الجدال معهم".

حزن الشاب مما سمعه من الرجل، لقد وجد نفسه في مستنقع وليس عالمًا عاديا فأخرج من جيبه بعض المال وأعطاه للعجوز ليقول له العجوز: "احتفظ بمالك يا فتى، ولا تحاول الدفاع عن أحد فلن يشكرك كما فعل ذلك الرجل، لا أحد هنا يستحق أن تبذل نفسك لأجله، اعتبر ثمن الخبز هدية مني لقطك الصغير واذهب واشتري له بعض اللبن فهو لن يستطيع أكل الخبز، اعتنِ بنفسك يا غلام، ولا تتسبب في مقتلك فالعالم لن يرحم قلبك الطيب".

غادر الشاب والألم يعتصر قلبه على ما يراه بأم عينه من أمور لا يصدقها عقل، ما هذا العالم الغريب، ما تلك القيود المرعبة، أين ذهب البشر هؤلاء وحوش، ولكنه نظر للقط وقال: "ها هو طعامنا اليوم كان على حسابك، يا إلهي ربما سأقوم بإفلاسك هكذا، لا تسرف أيها القط الصغير اعتنِ بمالك قليلا"، قال كلماته تلك للقط وهو يضحك ليشاركه القط المواء كما لو أنه قد فهم مزاحه، فقال الشاب: "ربما سيظن البعض أنني أصبت بالجنون لدرجة أني أكلم قِطا لكني أعلم أنك لن تعتقد أني كذلك"، أصدر القط صوتا، فقال الشاب متظاهرا الصدمة: "ماذا؟ تعتقد أني مجنون، يا لك من صديق....، لن أرد عليك الآن".

كان القط يشاركه لحظاته كما لو أنه يفهم ما يقوله ويتفاعل معه، كانت عيون القط تنظر له بامتنان دومًا، فهو من أنقذه والآن هو من يهتم به، لقد أحبه كثيرا ولم يشأ التفريط فيه أبدًا، فقال له: " أريد أن أشاركك أمرا ما فأنا وأنت متشابهان، أنت لا تملك شيئا في الحياة وأنا لا أملك شيئا أيضا ولكن انظر لكرم الله وفضله، فقد سخرني لك وسخر الكثير لي ليساعدوني منهم

أنت، لقد سخرك الله لي لتكون صديقي، فلا تنس شكر الله على نعمِه دوما، فلولا كرم الله ما التقيت صديقا مثلك".

أصدر القط صوتا ليرد عليه الشاب: "لا تغتر يا هذا، أنا فقط سعيد أنك معي، يا لك من قِط صغير مغرور"، وأنهى كلامه ضاحكا، إنه ينسى همومه مع هذا القط الصغير الذي سيغامر معه في تلك الحياة، لم يكن يضع هدفا له في حياته ماذا سيفعل، هل يسعى لتغيير هذا العالم الغريب أم يصبح فيه عابر سبيل كصاحب السكِّين، أو كالحارس أو كالطبيب، إن زمن الأنبياء قد ولّى، ومجتمع مريض كهذا المجتمع لن يفلح فيه أن يشرح مدى الظلم الذي يتعرضون له، ومدى ظلمهم لأنفسهم، لا يعلم من أين سيبدأ.

قرر البحث عن عمل أولا ليستطيع توفير مكان يسكن فيه هو وصديقه، ويستطيع توفير ما يسد به جوعه، ظل ينتقل بين البلدان لا ينزع قناع وجهه يسأل عن مكان يحتاج فيه أحد لعامل، ولكن لا يجد، حتى رأى من بعيد قرية نائية، ليست بعيدة كثيرا عن ضوضاء المدن ولكن ماذا سيفعل هنا، إذا لم يجد عملا في مدينة ضخمة كهذه كيف سيجد في هذه القرية الصغيرة، لكنه

قرر الذهاب لا ضير من المحاولة، وبينما يسير في الطريق العام إذ بسيدة عجوز تحاول عبور الطريق، فقرر أن يساعدها على العبور.

كانت السيدة تسير ببطء مما جعل السيارات المارة تضرب بأبواقها كثيرا، وهو يقول في نفسه "ما كل هذا أليس هناك صبر دقيقتين حتى تمر تلك السيدة، لم يقم أحد حتى بمساعدتها ألا يجري الدم في عروقكم أم ماذا".

قالت السيدة العجوز بعدما عبرت الطريق: "شكرا لك يا فتى، لم يمسك أحد ذراعي لأعبر منذ زمن طويل حتى خشيت أن الناس قد فقدت ما بقي من الرحمة في قلوبهم، لكن ما زال هناك أمل، شكرا لك".

تعجب من قولها كيف لسيدة مثل تلك عاشت من العمر الكثير وتعاملت مع الكثير أن تقول هذا الكلام، هل وصل الأمر لهذه الدرجة حتى أن فعل الخير أصبح عجيبا أم ماذا، قال لها وهو يبتسم خلف قناعه: "لا تقلقي يا خالة ربما ستعيشين الكثير بعد لتري أن الخير كثير في قلوب الناس، ولكن ينتظرون وقتًا ما لإخراجه لكن بالطبع هو موجود".

قالت العجوز بصوتها الدافئ: "لقد بلغتُ من العمر أرذله يا فتى، ورأيت الكثير لكن لم أرَ مثل هذا السوء في العالم، الناس لم تعد كما هي، هل تعلم لقد

كنت سئمت من تلك الحياة التي يتعذب فيها الجميع، حتى أنني لم أكن أحاول عبور الشارع بل كنت أريد الوقوف في منتصفه حتى تصدمني سيارة غافلٌ سائقها فأستريح من هذا العناء".

قال وهو يحبس دموعه كيف لسيدة عجوز أن تقول هذا، فلقد رأت الكثير يعني أنها تستطيع تحمل أي متاعب، هل هناك أسوأ مما رأته حتى الآن: "لا تقولي ذلك يا خالة، أطال الله في عمرِك، أظن أنك فقط رأيت شيئا سيئا فقط وقد حاول الشيطان أن يستغل الموقف، استغفري الله يا خاله، هناك أشياء جميلة حتما في هذه الحياة".

قالت السيدة بصوت حاني: "هل تمانع في إيصالي للمنزل وتناول معي كوب حليب دافئ مع بعض البسكويت، لابد أن قطك جائع".

أجاب مبتسمًا وهو ينظر لها وللقط: "لا أمانع طبعا هيا بنا".

حين وصلا لمنزل العجوز وجلسا نظر القط الصغير له ليقول الشاب: "حسنا أعلم أن هذا على حسابك هذه المرة لكن لا تنس أنني من دفع البارحة وقبلها".

أصدر القط مواء بصوت عالٍ ليرد الشاب: "ما بك يا فتى لا أتفضل عليك لكن أنت من تحاول خطف الأضواء، تواضع يا قطي الصغير لا داعي أن تغتر".

كانت السيدة تنظر له وهو يتحدث للقط وتبتسم ثم قالت: "يا لكما من صديقين ربما قد رأيتما الكثير معا".

قال الشاب وهو يبتسم: "نعم إنه صديقي الصغير، أنيسي بعد الله في أحلك أوقاتي، أدامه الله لي".

ابتسمت العجوز، وأحضرت الحليب الدافئ له وللقط وبعض الكعك، كان القط يشرب الحليب بسعادة بينما كان الفتى ينظر في أرجاء المكان، يحاول أخذ الدفء منه، فلم يدخل منزلًا منذ سنوات، المبنى الوحيد الذي رآه من الداخل كان السجن وعيادة الطبيب.

بينما ينتقل ببصره في المكان وإذ به يجد صليبًا معلقًا على أحد الجدران، لم يتحدث عن الأمر لقد علم أن هذه السيدة ليست مسلمة، لكنها سيدة لطيفة، قاطعت تفكيره وهي تقول له: "ماذا حدث لأصابعك، أخبرني إن كنت لا تمانع التحدث معي قليلا".

نزع قناعه وابتسم ابتسامة هادئة وقال: "أنا سعيد بالجلوس معكِ حقًا ولا أمانع الحديث أبدا، ولكن أظن أنك لن تحبي سماع قصتي الحزينة تلك".

قالت العجوز بهدوء وصوت دافئ يشبه صوت الأمهات: "لا أظن ذلك أخبرني إن كان لديك وقت لتؤنس وحشتي قليلًا".

قال مبتسما وهو ينظر للقط: "ربما ستسمع هذا لأول مرة يا صديقي أرجوك لا تحزن لأني لم أخبرك من قبل فلم أرد أن أزعجك". ثم استدار للسيدة وحكى لها بعض ما قد مر به منذ هبط من الطائرة وكيف كانوا يعذبونه بقطع أجزاء من أصابعه، كانت السيدة تستمع لحديثه وتبكي ثم قالت وهي تبكي: "يا إلهي لقد قاسيت الكثير، سحقًا لضعفي وأنا على أسباب ليست بالأمر الجلل بالنسبة لك كنت سأقتل نفسي، لقد مللت من الوحدة كان زوجي أنيسا لي في هذا المنزل وبعد وفاته لم يتحدث إليّ أحد، أقضي الوقت بمفردي حتى أني أوشكت أن أفقد عقلي، أخبرني يا فتى كيف تبتسم بعد كل هذا".

أجاب والابتسامة لا تفارق ثغره: "ولمَ أحزن يا خالة ما مضى قد مضى، وأرجو أن يحتسب الله ذلك في ميزان حسناتي، فعلى الرغم مما أصابني إلا أن الله سخَّر لي الكثير من الأصدقاء ليساعدوني، كما أنعم عليّ بصديقي الصغير الذي يرافقني الآن في طريقي، في الحقيقة هناك الكثير من الخير في حياتي يجعلني أبتسم".

بكت السيدة ورق قلبها، ندمت على ما كانت توشك أن تفعله من طيش لا يليق أبدًا بسنها، فهؤلاء الذين قد بلغ بهم العمر أشده قد رأوا من الحياة ما يجعل أعتى المشكلات تافهة أمامهم، هذا الوهن لا يكون إلا في الشباب الذين لم يحملوا مسؤولية غسل وجوههم حتى، هؤلاء الضعاف الذين ما أن تتخبط بهم السبل قليلًا يلجؤون للانتحار، ولكن كيف لشاب صغير مثله أن يكون بمثل هذا اليقين بعد كل ما عاناه، لم تفق من أفكارها إلا والقط يمسح رأسه في قدمها ليقول الشاب: "إنه يشكرك على الحليب، وهو ممتن للغاية لاستضافتك لنا، أليس كذلك يا صديقي؟".

أصدر القط الصغير مواءه كأنه يؤكد ما قال، فأردفت العجوز قائلة: "أريد أن أطلب منك أمرا ما وأرجوك لا ترفض".

فأجاب مبتسما: "اطلبي ما تشائين يا خالة سألبي ما أستطيع فعله".

قالت: "أنا عجوز الآن وقد بلغ بي العمر أرذله، وأنت الآن شاب وحيد تسافر بين البلاد وقد آوتك الأرصفة بما يكفي، ما رأيك أن تعيش معي، فحين أموت خذ أنت البيت، فليس لي أحد بعد موت زوجي، يمكنك أن تبقى معي لتساعدني، وحتى لا تشعر بالخجل سيكون أجرك أن تسكن هنا، هل تمانع؟"

أجاب مبتسمًا: " في الواقع لقد فاجأتني يا خالة، لكن أنا لا أستطيع ذلك أنا سأساعدك كما تريدين دون مقابل، أنت مثل والدتي لا يلزم للمساعدة أجر أبدا، فقط اطلبي ما تشائين".

"حسنا أنا أطلب منك الآن أن تبقى معي هنا، وبعد موتي لا ترحل من هذا المكان، هذه هديتي لك ولقطك الصغير". قالتها وهي تصر على ما طلبت فوافق الشاب ونظر للقط قائلًا: "ابتسم يا صديقي ستنام في مكان دافئ الليلة".

صعد القط على قدم السيدة وتمدد تعبيرا عن شكره وحبه، كان الشاب ينظر له ويبتسم ثم قال: "أراك قد تخليت عني سريعا يا صديقي الصغير".

فنظر القط له ونزل من على قدم السيدة وذهب للجلوس على قدمه ونظر له ثم أغمض عينيه، فضحك الشاب وقال: "هل هذه طريقتك في إرضائي، حسنا، سنتحدث لاحقا في هذا الأمر".

كانت السيدة تنظر لهما بسعادة بالغة، وقالت: "يا فتى أريد منك أمرا أخيرا".

فأجاب الشاب قائلا: "فلتطلبي ما تشائين يا خالة".

قالت: "أريدك أن تناديني أمي، وأريد أن أكون مسلمة".

اقشعر جسده وانفرجت أساريره لم تكن الفرحة تسَع قلبه فقال مهللا: "يا فرحتاه يا أمي إنه لأفضل خبر قد سمعته في حياتي حتى الآن، ما عليك سوى أن تنطقي بشهادة الإسلام، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله".

ابتسمت العجوز ونظرت للسماء وقالت: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله." أنهت عبارتها ونظرت للفتى والقط وهي تبتسم، فقام الفتى سريعًا يحتضنها، حتى أحاطت به بذراعيها وقالت في أذنه: "شكرا يا فتى.. أرجوك تذكرني دومًا".

أنهت كلماتها وسقطت يدها من على ظهره لينظر لها وقد ابيض وجهها وغادرت روحها جسدها الطيب وهي تبتسم، لتهبط العبرات من الفتى دون أن يتحكم بها ويطرق القط رأسه أرضا كأنه يعلم مدى حزن تلك اللحظة، عانقها الفتى مجددا وقال: "وداعا يا أماه، انتظريني في الجنة إن شاء الله".

رغم حزنه الشديد إلا أن السعادة كانت قد أخذت جزء منه، لقد ماتت السيدة الطيبة مسلمة، لقد طرقت باب الجنة في لحظتها الأخيرة.

دُفنت في مقابر المسلمين، وعاد الشاب للمنزل ليرتبه ونزع الصليب وشغَّل التلفاز على القرآن ليضفي جو الأمان على المنزل، رتب السرير الذي سينام

عليه وجهز مكانًا للقط أيضًا، وقال له: "إن كنت لا تمانع فسأشارك معك السرير فلا يوجد غيره في هذا المنزل، أرجو أن أكون ضيفا خفيفا على قلبك" ثم ضحك حتى ينزع القليل من الحزن عنه.

لقد أنعم الله عليه ووجد المكان الذي سينام فيه هو وصديقه، الآن سيبحث عن عمل يصلح لأن يطعمه، ظل يبحث ويلتقط رزقه هنا وهنا حتى تعب من العمل فقد كان يحمل بعض الأمتعة للناس مقابل ثمن زهيد، وحين أرهقه السعي جلس في أحد المقاهي ليستريح حتى مر عليه أحد المتجولين يطلب منه أي مساعدة فهو لا يجد ما يأكله منذ أيام، فأعطاه الشاب بعض المال يكفيه ليشتري بعض الخبز، فشكره الرجل ودعا له قليلًا ثم غادر، فنظر له أحد الرجال بجانبه وقال: "هل احتال عليك وصدقته".

امتعض وجه الشاب وقال: "لا تكن سيء الظن بالناس أنت ترى هيئته قد أكل الزمان عليها وشرِب، ربما هو محتاج فعلًا وإلا ما كان سيمشي يسأل الناس".

قال الرجل: "إن كان محتاجًا حقا فقد أعطيتَه ما يكفيه، لماذا ما زال يسير بين الناس ويطلب منهم، راقبه بعينك وانظر كم شخصا سيطلب منه المال،

إنها وظيفة أيها الشاب، إنهم محتالون يلبسون ثوب الفقراء وهم أغنى مني ومنك، هيئته هذه قد تعب ليصنعها، فكيف سيرق قلبك له إن كان بلباس مهندم، إن وظيفته أن يستميل عاطفتك فتدفع، لو كان محتاجًا حقا لاكتفى بما قدمتَه له، فهو يكفيه ليسد جوعه".

شعر الشاب بأنه ساذج قليلا، وأن كلام الرجل صحيح وهو نفسه أصدق مثال على ذلك فهو لم يأكل منذ يومين، وقد أعطى المال الذي كان سيشتري به الطعام للرجل ظنًا أنه محتاج أكثر منه، لكنها كانت خدعة قذره، فقال للرجل: "وكيف أعلم من يمكنني إعطاؤه المال، ربما سيموت المحتاجين جوعًا".

قال الرجل وهو يزفر: "ربك لا ينسى أحدا يا فتى، والمحتاج ستعلم حين تراه أنه محتاج، كما أعلم الآن أنك لا تملك أي مال وأنك جائع، وعلى الرغم من ذلك لم تطلب من أحد، المحتاج حقا يستحي أن يطلب من البشر، بل يطلب من رب البشر، والله يسخر له من يساعده، أما هؤلاء الذين يسيرون في كل الأماكن يسألون الناس، ما هم إلا بعض المحتالين اتخذوها وظيفة فهي

تكسبهم الكثير، لو كان محتاجًا فعلا ولم تكن تلك الوظيفة تسد جوعه لانصرف بحثا عن عمل، ولكن هذا العمل يكفيه وزيادة".

قال الشاب في استنكار: "ولكن لماذا لا يضع الناس حدًا لهذا إن كانوا يعلمون بالأمر".

قال الرجل: "ليس كل الناس يعلمون بالأمر بالإضافة أن العاطفة أقوى من العقل، والناس تحكم بعواطفها أكثر من حكمها بعقلها، ربما قد تقرر الآن ألا تفعل ذلك مرة أخرى ولكن حين يمر طفل صغير الآن يستعطفك ويبكي أمامك سيرق قلبك مرة أخرى، إنهم ممثلون بارعون، والناس هم الحمقى، ما أشبه ذلك بالأفلام، كلها كذب على عقول الناس، والناس تصدق، نفس الأفكار لا تتغير ولكن أسلوب العرض مختلف الأمر برمته كذبة كبيرة، لكنها تتكرر فلم يعد الناس يفهمون أنها كذبة".

كان يستمع لحديثه مستغربًا أي مجتمع هذا، أي عالم تسود فيه الفوضى بهذا الشكل، لكن جزء من قلبه يأبى أن يعمم هذا الأمر لربما من يطلب المساعدة محتاج حقا، فقال للرجل: "لا أظن أن التعميم صحيح ربما هنالك محتاجون حقا".

قال الرجل في ثقة: "ما رأيك أن تأتي معي لأثبت لك". أومأ برأسه بالإيجاب وذهب معه بعد ما أشار الرجل لصاحب المقهى أن يسجل الحساب باسمه، قال الرجل وهو يسير: "أنا أعبر من موقف الحافلات هذا منذ ما يقارب العامين، وهناك سيدة تقف بحقيبة توقفني كل مرة تطلب نقودًا لترجع لمنزلها، سنعبر من هناك وانظر بنفسك".

كان الشاب يسير معه يضحك باستهزاء من كلامه فمن سيفعل ذلك في نفس المكان لعامين، حين وصلا للمكان ومرا من أمام موقف الحافلات، لم ير الشاب شيئا فابتسم ابتسامة نصر حتى ظهرت السيدة التي كانت تجلس على حقيبتها قائلة: "أرجوك ساعدني فقد سُرقت نقودي ولا أستطيع العودة لمنزلي، أرجوك أي شيء تقدر عليه".

نظر الرجل له وأومأ له بمتابعة السير، ثم ابتسم في وجهه كأنه يقول له لقد أخبرتك وأردف قائلًا: "لو كانت تسكن في المريخ لكانت جمعت النقود للذهاب إلى هناك في هاذين العامين، لا تنخدع بالناس يا فتى، فلقد ملأ الطمع قلوب الناس حتى أنك ستجد الخير كما الإبرة في كومة القش".

أطرق الشاب رأسه في الأرض متفهما، كل يوم يمر عليه يرى فيه مدى سوء المستنقع الذي سقط فيه، كيف يستخرج أفضل ما في المجتمع وكلٌ يقول نفسي نفسي ويسحب بنفسه للشر، ولا أحد يسعى للخير، قال الشاب بحزن للرجل: "ولم يفعل الناس ذلك".

أجاب الرجل: "لأنها الطريقة الوحيدة بالنسبة لهم للتمرد، كل يختار طريقته ليصل بها لصفوة المجتمع، لا حدود ولا قيود لأفعالهم، فقط يريدون أن يصبحوا أغنياء ليصلوا للصورة التي يرونها أمامهم في الشاشات، حتى إنهم لو وصلوا لظلوا منبوذين لأنهم دخلاء على هذا المجتمع الغني، في السابق كانت الشعارات تُتلى أن الغِنى هو غِنى النفس، لكن لم يعد أحد يهتم يمكن للرجل أن يبيع عِرضه من أجل المال، يفعل أي شيء من أجل المال، الشياطين لم تعد تبذل جهدا في الوسوسة يا رجل، يكفي فقط أن تضع بعض المال أمام أحدهم، فلن يلتفت إلى أي معنى للحرام والحلال، حافظ على قلبك يا فتى فإن فساد العالم يتربص بأمثالك، حتى تصبح الحياة كلها بقعة سوداء لا بياض فيها".

أنهى الرجل حديثه لينظر للفتى هزيل الوجه، ثم يقول: "أعلم أنك تحمل هم المال الذي ضاع منك بدون وجه حق الآن، ما رأيك أن تعمل معي، أنا بائع وأريد منك أن تساعدني في بعض الأمور يمكنني أن أوفر لك مبلغًا جيدا من المال لن يكون بالكثير، ولكن أظن أنه يمكن أن يناسبك".

نظر الفتى له وابتسم وأومأ بالموافقة، ثم رفع رأسه للسماء شاكرًا لله على كل هذه النِعم التي لا يستطيع أن يحصيها، إن الحياة تهديه القليل مما أُخذ منه، وتعوضه عن الحياة البائسة التي رآها، كانت السعادة تغمره يريد أن يذهب ليحكي لصديقه ما حدث معه ليشاركه فرحته، فمهما كان هو صديقه الوحيد.

ذهب للعمل مع الرجل حتى يأتي بالطعام له ولصديقه الذي ينتظره في المنزل، في نهاية اليوم جاء باللبن وبعض الخبز وسمك التونة حين دلف للمنزل خرج له صديقه من الغرفة بصوت مواء عالٍ كأنه يتشاجر معه فقال له بعدما ربت على رأسه: "أنا آسف معك حق لقد تأخرت، ولكن خمن ماذا حدث لقد حصلت على عمل اليوم، ولقد جئت للاحتفال معاك سنأكل التونة، إنها

وليمة يا فتى، لا تحزن يا صديقي العزيز، صدقني أنت أغلى ما أملك ولا يمكنني أن أتأخر عنك إلا لسبب قوي".

جلسا يأكلان سويا، ويشكران الله على ما رزقهم به من طعام، ثم أتى في باله طيف الذكرى نفسها وهو يلوّح في المطار، كأنما تريد الذكريات أن تخبره أنه ما زال ينقصه أمر ما، لكن لا يدري ماذا يفعل، لقد افترقا في المطار ولا يعلم منزلها ولا يعلم كيف يصل لها، قاطع تفكيره صوت مواء القط ليرد قائلًا: "أعلم يا صديقي أني شارد قليلا، سأخبرك حتى يمكنك أن تسديني نصيحة ما". حكى له القليل عنها، لأنه لو ظل يحكي أبد الدهر ما كفى كان القط يصدر أصواتا كأنه يحدثه ليقول: "إذا هذا رأيك، حسنا سوف أشتري الهاتف وحينها سأرى ما يمكنني فعلك يا لك من قِط ذكي حقًا، لست نادما على شراء التونة لك بكل مالي." نظر له القط كأنه يريد ضربه فضحك وقال: "لقد صرت سريع الغضب يا صديقي أمزح معك فمالي هو مالك، لكن لا تتمسك بالكلمة وتنفقه على شراء السجائر فهي حرام، يمكنك شراء التونة كما تريد، لا تبخل على نفسك".

لقد كان يتحدث معه كأنما يتحدث مع نفسه، لقد كان ركنه الآمن من طعنات الحياة، لا يتحدث بالكثير ولكنه يجده وقتما يحتاجه، صديقه العزيز ولا يريد أحدًا سواه.

ظل يعمل مع الرجل الطيب لمدة عام، لم يرَ من الرجل سوى كل الحب، حتى إنه أخذ صديقه القط ليتعرف عليه ويخبره عن مدى كون الرجل طيبًا معه يعلّمه ما يريد تعلمه ويعامله مثل ابنه، وفي أحد المرات بينما أحد الزبائن يشتري إذ جاء في التلفاز إعلان عن المشاريع الجديدة التي تقوم بها الدولة، ليستمع الزبون ويقول بفخر: "فلتحيا دولتنا دومًا".

لكن الرجل الطيب كان يضحك بسخرية لم يكن يفهمها الشاب، فحين غادر الزبون سأله على ماذا كان يضحك فأجاب: "على جهل هؤلاء المدّعين، الدولة تقوم بالمشروعات التي لا طائل منها لا تسد جوع أحد بل هي سبب في ازدياد معاناتهم، ومع ذلك بعض الناس ما زال مؤمنا أن هذا هو الأفضل، لا يجد ما يأكله ولا أحد يعلم أنه على قيد الحياة أصلا ويدافع باستماته عن مشروعات الدولة، هؤلاء الصنف هم من يكممون الأفواه بغبائهم، بماذا تفيد السياحة والاستثمار وهناك بطون لا تجد ما تأكله، هل يدفع السائح ليطعم هؤلاء؟

لو كان يدفع ما ماتوا جوعًا، إن الجهل هو أسوأ ما قد يصيب الأمم، ليس الفقر، ولا المرض، هو فقط الجهل، تعلّم يا فتى تعلّم من أجل نفسك، تعرَّف على الجاهل وتجاهله، لكن عليك أن تعرِفه، وإذا وجدت من يحتفل بإنجازات أحد ما وهو جائع فاعلم أن عقله فارغ، فلا تدخل معه في نقاش فستفقد طاقتك حتمًا دون طائل".

أنهى الرجل الطيب حديثه وسعَل بقوة ثم قال: "ربما اقترب وقتي يا فتى، أرجو أن أظل في ذاكرتك دومًا، هل تتذكر حين قابلتك في المقهى ذاك اليوم، لقد كنت أجلس منتظرًا أن يأتي أحدهم يبحث عن عمل، أو أحد يطلب مساعدة أستطيع تقديمها له، لقد كنت في ذلك اليوم عائدًا من عند الطبيب الذي أخبرني أني مصاب بالسرطان وسأموت قريبًا، لم أعلم أن قريبا قد أخذت من عمري عامًا كاملا، ولكن أظن أن وقتي قد اقترب الآن، لقد كنت يا فتى بمثابة ابن لي، أتمنى أن أكون قد تركتُ أثرا طيبًا لك في حياتك، لقد كانت حياتي كلها بلا معنى لم أفعل فيها ما يستحق الذكر، كنت أسير فقط كما يسير الجميع دون هدف أو مسعى، لم أصل أيضا لشيء فقط كنت أرى الجميع يسير وأنا أقف مكاني، في الواقع فعلت الكثير فقد بنيت منزلًا وفتحت هذا المكان

وصرت غنيًا إلى حد ما ولكن ما زال ينقصني الكثير، أظن أنني حين أموت لن يتذكرني أحد لن أجد من يدعو لي، الجميع هنا لا يهتم لكيف يموت إنهم فقط يهتمون كيف سيعيشون على الرغم من أن الموت هو الحقيقة والحياة هي الخدعة التي سرقت منهم كل ما هو جميل داخلهم، نحن لا نتعظ ولا نعلم ما نحن فيه إلا بعد فوات الأوان، أوقف أي واحد في الشارع واسأله ما هو هدفه في الحياة أو ما حققه ستجد إجابات غريبة كلها بعيدة عن الموت، الناس في غفلة وهم سعيدون بذلك لن ينتبهوا إلا كما انتبهت أنا، وأنا على شفير الهاوية، لقد خفت أن أموت وحيدًا، حاولت أن أجعل أحدهم يتذكرني، ربما سيقع على عاتقك هذا الحمل يا فتى، أرجوك تذكرني دومًا في دعائِك".

أنهى حديثه وقد كان الشاب يمسح عبرات قد هربت من مآقيه، فلقد عادت ذكريات الحارس أمام عينه وصورة السيدة العجوز، كل هؤلاء قد قدموا له الكثير وقد أحبهم، لقد بكى بداخله وظل يسأل نفسه؛ لماذا يغادر كل من أُحب، لماذا تصر الحياة أن تترك أثرا لا يندمل داخل قلبي.

لم تمر أيام حتى فارق الرجل الطيب الحياة، تاركًا أثرا وحيدًا في قلب فتى قد نالت منه الحياة إلا أنه أبى أن يتركه لها، فأخذه ليكون حصنًا له من ظلم الدنيا، ربما لم يفعل له الكثير ولكنه مات وهو يبتسم، مات وهو راض قليلًا عن نفسه.

# (4)

عاد الشاب لمنزله يبكي وقد بللت الدموع وجنتاه من الحزن ليذهب لصديقه يبكي له: "لماذا يحدث كل هذا يا صديقي الصغير، أعلم أن الحياة ابتلاءات لكن قلبي لم يعد يتحمل غياب من أُحب، إن الألم الذي كان يفتك بجسدي لا يؤذيني بقدر الألم الذي يقبع داخل قلبي، كما لو أن قلبي يضخ بدل الدم حزنا، لقد مات الرجل الطيب يا فتى، نعم إنه ذاك الرجل الذي أطعمنا التونة لأول مرة، تذكره دائما يا قطي الصغير فلقد كان بمثابة أب لنا".

تمدد على سريره محدقا بالحائط فجلس بجانبه قطه الصغير مستندا لكتفه، يخبره "لا تحزن فأنا هنا، دع عنك همومك أو تقاسمها معي، إن تركك العالم فأنا ما زلت بجانبك لا تخف".

كان يستلقي لا يريد التفكير في شيء فلا يوجد ما يفكر فيه الآن، يحب فتاة لا يعلم عنها شيئا، كل من أحبه لم يعد موجودا الآن، صار ما يشغل به حياته الآن هو التصفح في هاتفه، ليرى أخبار العالم وما قد فاته في الأعوام الماضية يريد أن يرى ماذا تغير.

كانت وسائل التواصل عبارة عن مستنقع قذارة وحقارة، أسوأ بكثير من العالم الخارجي، كل الأمور فيها مباحة، الكثير من الصور في أماكن كثيرة راقية، ما هذا هل كل من هنا أغنياء أم يدّعون هم أيضا كما البلدة التي كانت تصنع شجارًا على بضع سنتات ثمن الخبز.

لقد أثار حنقه أحد المقاطع المصورة لبضعة شباب يستهزئون برجل كبير في السن، وكل ما يجول في باله ما هذا الذي يحدث ألا أحد يخبرهم أن هذا خاطئ، حين رأى التعليقات على هذا المنشور كادت الدماء تنفجر من أوداجه، كل هؤلاء يعجبهم الأمر، أليس منكم رجل رشيد؟

في مشهد متكرر كان هناك البعض يقومون بالتنمر على أحد الأشخاص، ولا أحد يعترض على هذا الأمر، كما لو أن هذا الأمر طبيعي، حتى لفت انتباهه أحد التعليقات مكتوب فيها: "إنها تستحق ما يحدث، هي من أظهرت وجهها القبيح هذا أمام الناس، ولكل واحد حرية الرأي".

أراد أن يكسر الهاتف على رأس كاتب هذا التعليق، كيف تستباح الحريات بتلك الطريقة، حرية الرأي هذه عندما تتحدث عن رأيك في نفسك أو في شيء في حياتك يا أحمق ليس على الناس أو شيء خلقه الله، وهل خطأ الناس في

أمر ما عن جهل يجعل ذلك مبرر للخوض في أعراضهم بكل تلك السخافة، النصح ليس هكذا، إن الكلمات تسكن القلوب كما يسكن الرصاص الجسد، هل صار العالم كله شياطين أم ماذا، الناس في الشوارع يقتلون بعضهم وخلف الشاشات يدمرون ما بقي من الروح، ربما أخطأت الفتاة ولكنها ما زالت جميلة كما خلقها الله، فلتدَعوا الناس وشأنها، إما أن تنصحوا باللين أو لا تطاولوا، كم أنتم أشخاص فارغوا العقول حقًا.

قال في نفسه: "أيها الطبيب الأمر صعب للغاية هؤلاء الناس لن ينفع معهم شيء لإصلاحهم، لقد بلغوا من السوء والقبح ما يجعل المرء يقتل نفسه أهون من أن يعيش مع هذه الكائنات التي لا تنتمي لدين أو مبدأ، يخوضون في الدين وفي السياسة وفي الاقتصاد والفنون، وهم لا يعلمون شيئًا عن أي شيء، أيها الطبيب أظن أننا نريد فقط النجاة بأنفسنا من هذا السوء، أظن أن الوقت الذي عشته في السجن كان نجاة لي من الدخول وسط هؤلاء، يا إلهي إني لأذكر ما قاله نبي الله يوسف، السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، أنا آسف أيها الطبيب، لن أستطيع تغيير هذا المجتمع فلست أرى من يمكنه تقديم العون لي، أنا وحدي حقًا، أظن أنني سأظل أنا وقطي الصغير نحاول الحفاظ

على قلوبنا وسط هؤلاء المفترسين، أظن أنني سأختار أن أكون كصاحب السكِّين، أكون عابر سبيل فقط يفعل ما أمر الله به، ويحاول أن يحافظ على قلبه قبل أن يأكله ظلام العالم، أنا آسف فأنا أضعف من تحمل كل هذا وحدي".

كان عقله شريدا في ماذا يفعل في حياته، إن كل مكان حوله يحوي ظلامًا، وكان هو شمعة تحاول الحفاظ على نفسها بين الأعاصير حتى لا تنطفئ، كل ما كان يريده أن يجد من تقاسمه أحزان العالم تلك، كان يريد أن يعرف أين هي الآن، هل ينتظر العثور عليها فعلًا، أم يبدأ من جديد في حياة جديدة بدونها، لقد مر خمس سنوات لابد أنها قد نسيته بعدما فقدت الأمل في الوصول له.

وبينما يتصفح هاتفه بلا مبالاة لأي شيء حوله بلا مشاعر أو شغف يدفعه لمواصلة القيام بأي شيء، شرد عقله للحظات وهو يتذكر كل ما خسره في سنوات عمره السابقة وعن رحلة سفره وهو صغير التي قابل فيها حب حياته ولكن لم يكن القدَر كما يريد، انقطعت سبل الوصال حتى إنه ما زال يشعر أنه سيجدها مرة أخرى لا يعلم كيف ولكن هو على أمل دائم.

بينما هو شارد إذ يفيق عقله على صورة قد توقف إصبعه عليها وهو غير منتبه ليقف على صورة فتاة بوجه ملائكي لطيف ملامحها هادئة وعيونها زرقاء كلون ماء البحر وقت الصفاء، ظل محدقا لفترة لدرجة أنه نسي ما كان يفكر فيه.

فتح حسابها الشخصي وظل يقرأ ما كتبت ويطالع ما قد نشرته حتى أنه كان يضع إعجابه دون أن ينتبه لعدم كونهم أصدقاء، لقد رأى في تلك الكلمات ما يربت على قلبه كأنها مسكنه، وجلس مدة يتأمل وجهها وبراءتها، لقد نسي أنه حزين على فراق من أحبها، لقد فقد الأمل للحظات كانت كفيلة لتقلب حياته رأسًا على عقب.

في خضم سفره في عالمه الذي هو دائم الشرود فيه وصلته رسالة كُتب فيها "شكرًا"، اتسعت حدقتا عينه كما لو أنه كان يغرق وقد انتشله أحدهم من قاع اليأس، ظل محدقًا للرسالة ولم يعلم ماذا يفعل، تضاربت أفكاره، هل هذه خيانة لذكرياته، أم هي بداية لذكريات جديدة، هل ستنتهي هذه اللحظة حين يرد وتكون مجرد شعلة شغف عابرة فقط أم أنها دقات قلب جديدة ستعلن حياتها مرة أخرى.

دقات قلبه تتسارع ابتسم قليلًا على ما حدث له وقال لنفسه: "ما بك يا فتى إنها مجرد كلمة شكرًا، هي لم تقل أحبك بعد فلتتماسك قليلًا" هناك صراعات قائمة في رأسه مئات الأفكار لا يعلم ماذا يرد، حتى أن رأسه قد أخرج بعض الدخان من كثرة تفكيره، لم يشعر بنفسه إلا وهو قد أرسل "العفو".

أفاق للحظات لينتبه لما كتبه وهو يصيح داخله "أتمزح معي، أبعد كل هذا الوقت من التفكير حتى أصبت رأسي بالصداع ليكون كل ما فكرت فيه هو كلمة العفو، يا ليتك قتلتني ولا أرى هذا الفشل الذريع" يحدث نفسه وهو ينتابه ضحك هستيري لقد خان ذكرياته وذهب الأمل والآن ليكمل تصفحه بلا مبالاة مرة أخرى.

بعد قليل من هذا الصراع النفسي داخله إذ به يجد قليلا من الإشعارات التي تدل على إعجاب أحدهم ببعض ما نشره على صفحته، لقد كانت مجرد ثلاث إشعارات لثلاث صور، كانت صورًا مشهورة يومًا، وقد كانت فتاته تحبها، لا يعلم لماذا قد وضع تلك الصور بالذات هل لأنه يضع دليلًا على كونه ما زال موجودًا لربما تجده أم ماذا، ثلاث إشعارات كانت كفيلة لتشعل تفكيره مرة

أخرى، هل كانت تحاول هذه الفتاة أن ترد الجميل أم ماذا، لقد عصف ذهنه مرة أخرى ماذا يكتب "يا إلهي ليس ثانية" قالها لنفسه بعدما وجد نفسه قد كتب "شكرًا" ، لقد انتهت قصة حبه الخيالية في كلمتين لو كان استخدم عقله النشط هذا في بناء بيت من خمسة طوابق لكان فعلها، لكن فترة لومه لنفسه انقطعت برسالة منها "العفو" لقد تجمد وجهه واختفت تعابيره وظل بلا ملامح قليلًا لا يفهم أي شيء وهو يخبر نفسه "ماذا حدث من البداية حتى الآن لم أعد أفهم شيء، من هذه الفتاة أصلا" ولقد انتبه مرة أخرى وزادت ضربات قلبه حين رأى أنها كتبت "أنا بخير، كيف حالك أنت" وكانت ردًا منها على رسالته التي أرسلها وهو لا يدري، قال لنفسه "يا إلهي هل أصبت بالفصام أم ماذا، متى كتبت لها أنا متأكد أني لم أفعل ذلك" حتى قطع تفكيره "لم كل هذا الصمت، ألا تستطيع وصف حالك أم ماذا" حاول استجماع أفكاره وقوته ويرتب ما سيقوله داخل عقله ليرد هذه المرة ردًا مناسبًا يكفي ما حدث حتى الآن وحين تجهز وجد أنه قد كتب "نعم".

انتبه أنها تحاول الكتابة فجلس مع نفسه حتى تنتهي وظل يعاتب نفسه "لو أستطيع أن أمسك بكِ وأقتلك لفعلت، أقول لكي اكتبي ردودًا مناسبة على

قدر التفكير قبلها على الأقل وبعد كل هذا التفكير تكتبين نعم؟! هل أشرب سمًا وأقضي عليك أم ماذا".

جاءت رسالة قد قطعت عليه أفكاره وتركت نفسه من يده قبل أن يقتلها، "حسنا لا بأس، ربما أنت متفاجئ من الموقف، لا تقلق سيكون كل شيء بخير" لقد جاءت كلماتها بمثابة هدوء قد أراح عقله من التفكير الطويل والمزعج، هدوء قد جعل أساريره تنفرج، ورئتاه تمتلئان بالهواء بعد نفس عميق، لم يعد يفكر فيما سيكتبه لقد ترك نفسه لنفسه فلتكتب ما شاءت.

"حسنا، ماذا تفعلين الآن." أنهى رسالته ولم يقم بلوم نفسه على شيء لم يعد يفكر فقط يكتب وليحدث ما يحدث، ردت هي بكلمة واحدة "أحادثك"، لقد ابتسم للحظة بعد ما انتبه أنه قد كتب أربع كلمات وهي قد كتبت كلمة واحدة لقد شعر بالانتصار للحظة، وهنا قد زال خوفه وبدأ يبتسم ويكتب ولا يفكر فيما يكتبه لقد كان فقط يستمتع بما يكتب ويستمتع بما يراه منها، لقد نبض قلبه مرة أخرى.

لم يشعر بالوقت إلا وهو يرى أنه قد حادثها لساعات، لا يتذكر في ماذا تحدثا ولكنه كان سعيدًا، سعيدًا جدا لأول مرة منذ مدة طويلة، بعدما تأخر الوقت وقد أسهبا في الحديث سويا، قد توقفت هي عن الكتابة، لقد علم أنها نامت فهي بالطبع لن تتضايق من حديثه هو لم يفكر فيما يكتب، كان سيتأكد من أنها شعرت بالضيق لو كان فكّر ولكن حمدًا لله لم يستخدم رأسه هذه المرة، بعد ما طال صمتها وتأكد أنها قد نامت فلقد كان السكوت لحظيا ختم المحادثة بـ"تصبحين على خير"، وقال في نفسه "يا ليتني أصبح عليها".

لم يستطع النوم في هذه الليلة، كل شيء بالنسبة له حلم، واقعه بالكامل عبارة عن حلم، كل شيء لا يسير وفق ما يريد كل الأمور ضده كما لو أن العالم قد خلق لمحاربته هو فقط، سلبية التفكير تتملكه، جعلته يراجع ذكرياته القديمة وتتقلب أفكاره في دوامة من الذكريات، كان بإمكانه نسيان الأمور لو كانت انتهت بشكل ما، ولكن ما يحدث معه يتعلق بقلبه ولا ينتهي، فيظل معلقًا ولا يمكنه التخلص منه.

عادت به الذكريات إلى اليوم الذي تعرف فيه على صديقته وهو خارج البلاد، لقد كانت من نفس موطنه هي الأخرى، وقد جمعتهم الغربة عن بلادهم، تذكر

ما كان بينهم من التوافق والراحة، كما لو أنها قد خلقت لتكون مناسبة لكل شيء هي وحدها من يفهمه بكل هذا الوضوح، هي وحدها من ينظر في عينها فيرى نفسه، لقد كانت كل شيء، حتى رجعا إلى الوطن فافترقا.

لا أدري العيب في الأوطان أم العيب فينا، هل يغار الوطن من أن يرى أحدًا يرى وطنه في عين من يحب، هل يغار الوطن من أن يكون هناك وطن غيره، أم أن هذا في بلدنا فقط.

حين رجعا إلى موطنهم الأم، تقطعت بهم السبل ولم يعد هناك سبيل للتواصل فهما من أقطار مختلفة والتواصل الآن بينهما شبه مستحيل، يقول في نفسه يا ليتنا لم نعد لبلدنا الأم لأنها الأم الوحيدة التي فرقت بين أبنائها، لم يكونا بحاجة إلى وسائل التواصل خارج بلدهم فلقد كانا سويا طيلة الوقت، في المدرسة والشارع ولم يكن لديهم هواتف، لقد كانا حبيبين فلن يهتما بالهواتف التي تفرقهم عن رؤية بعضهم إذا التهمهم الاشتياق.

عواصف ذهنه اليومية لا تهدأ حين يفكر فيها يا ترى في أي البلاد هي الآن، ويا ترى كيف حالها، هل هي بخير، هل نال منها الشوق ما ناله مني، أم انتهى الأمر عند هذا الحد، هل كانت فترة كما يكون الجميع فترات في حياة بعضهم.

"يا إلهي لا أدري هل ألعن الحب على هذا الألم، أم أشكره على وجود ذكرى جميلة مثلك في حياتي، أنا حقًا أفتقدك، عسى أن يرسل لك القمر اشتياقي".

كلمات ينطق بها قلبه في ليالٍ ينال فيها البرد من أوصاله، إن اللقاء دافئ، وسكن العين أمان.

كاد أن يغلبه النعاس حتى ثارت أفكاره مرة أخرى وقال في نفسه "إن كنت أحبها لهذه الدرجة فما هذا الذي فعلته اليوم."، ما أسوء أن يأتيك قبل النوم أسئلة ليس لها إجابة أو لا تعرف جوابها، لقد شعر بالخيانة تحيط به من جميع الاتجاهات، لقد ملأ حبها جميع أركانه والآن بكل هذه البساطة يقوم بخيانة حبها، تملكه الغضب والحزن، شعر أنها لا تستحق ما فعله فقرر أن ينهي هذا الأمر وقام بمحو المحادثة التي دامت لساعات هذا اليوم، لقد قرر ألا يقوم بهذه الخيانة ثانية لعل القدر قد كُتب فيه التلاقي مرة أخرى.

هدأ تفكيره قليلًا حتى كاد يغلبه النوم، ولكن هيهات لقد ثار عقله مرة أخرى قائلًا له "وما يدريك أنها تفكر فيك كما تفكر فيها، وكيف تعلم أنها لا تحب أحدا غيرك الآن"، كان على وشك البكاء من هذه الفكرة ليس لأنها زعزعت

حبه فيها ولكنها جاءت في وقت يريد النوم فيه لا أكثر حتى صاح في نفسه "أرجوكِ إنه وقت نوم الآن فلننم الآن ثم نفكر في كل هذا صباحًا"، ربما كان يحتاج أن يصرخ قليلًا ليفرغ بعض غضبه، ولكنه قرر أن يغمض عينه وسينام رغمًا عن أفكاره حتى قاطع إرادته سؤال عقله مرة ثانية "لا تريد خيانتها وأنت لا تعلم ما هي حياتها الآن، ألا تظن أن هذه فرصة لترى حياتك مرة أخرى ولا تعتبر هذه الفتاة الجديدة خيانة".

قام من على سريره وألقى الوسادة لتصدم بالحائط وجاء بخاطره مشهد من فيلم يصف حاله وقال في نفسه: "لن نستطيع النوم في هذه الليلة الغبراء" لقد ظل يفكر فلقد طار النوم من عينيه، ماذا يفعل في كل تلك الأفكار المتضاربة، هل ما يفعله خيانة أم أنها بداية حياة جديدة، هل ما زالت تحبه أم أن السبل انقطعت ورأت حياتها بعيدًا عنه.

لقد قرر أن يعطي فرصة لنفسه بعدما أهلكته أفكاره، سيبدأ صفحة جديدة بحياة أخرى لكنه لم يستطع تمزيق صفحات ذكرياته القديمة فلقد سكنت جزءا كبيرًا من قلبه، ولا يدري ما يخبئ له القدر.

لقد كانت ليلة طويلة من الأفكار المتضاربة كفيلة بجعل النهار يصبح عليه ويصاحبه ألم شديد في الرأس كما لو أنه كان يناطح قطارًا برأسه، قام بغسل وجهه وأخرج بعض الطعام المعلب في فتور، وضع الطعام لصديقه الصغير بعيون خالية من الحياة، يمكن وصفه كفيلم صامت باللون الأسود والأبيض، حياة رتيبة مملة يملأها اليأس والأمل بدون سعي، يسكنها مشاعر الفرح والحزن سويا، شخص يجتمع فيه الاضداد ببساطة.

تناول فطوره وأمسك بهاتفه العالم الخيالي الذي ينتزعه من واقعه، ويرى ما الجديد في صندوق رسائله الفارغ كالعادة، يبدأ بتصفح آخر الأخبار بملل حتى يصله رسالة "صباح الخير، أنا آسفة لم أشعر بنفسي وأنا أغفو ممسكة بالهاتف، أتمنى ألا تكون قد انزعجت من هذا".

قرأ الرسالة ولم يدرِ بماذا يرد فهو لا يتذكر ماذا كتب آخر شيء بالإضافة أنه قد قام بمحو الرسائل، وقبل أن يضيع في أفكاره مرة أخرى قال لها "لا تقلقي لقد ظننت ذلك بالفعل" أرسل الرسالة وقال في نفسه "حسنًا لا ضير من الاستمتاع ببعض الوقت ربما تكون هذه هي الحياة الجديدة أتمنى أن يمر الأمر بسلام".

تطول المحادثات يوميًا كعادة البدايات، فضول الأشخاص نحو بعضهم هو ما يدفعهم للإسهاب في السرد حتى لو كانت الأمور تافهة وبلا معنى ولكن هو طبع البشر أو غالبهم، وهكذا كانت تمر الساعات سريعا بينهم حتى لحقتها الأيام، وعجبًا لتلك الأيام الكئيبة التي ما فتئت يدخلها فرد جديد بعيون ملونة حتى يضفي لها الألوان، ويجعل ساعاتها تمر في ثوان، ويُرجع نورًا قد انطفأ في شخص صامت بين الظلمات يبكي على أطلال الذكرى التي انتهت وهي لم تكتمل، فلم يجد سوى أن يقطع رسائلها الكثيرة بـ "هل إذا تقدمت للزواج منك ستقبلين؟"

صمتت لفترة ثم طال الصمت عدة ساعات جعلته يقع في الحيرة مرة أخرى لقد كان قرارا سريعا ربما عقله هو ما أملاه عليه هذه المرة إما أن تقبل أو ينتهي الأمر لا طاقة لأن يلوَن كل المكان ثم ينطفئ إثر غياب آخر زفر بعمق ثم قال لنفسه "سأنتظر قليلًا ربما أموت على أي حال".

وقد كانت لحظات الانتظار تلك بمثابة أيام لقد ظن أن شعره اعتراه الشيب في هذا الوقت الطويل والذي في الحقيقة لم يمر فقط سوى خمس ساعات

ولكن ما أمَر على الإنسان من أن يجلس وسط أفكاره، وما أصعب أن يُسلط على الإنسان نفسه.

لم يفتح بوابات انتباهه سوى رسالة مكتوب فيها "فلتفعل، سأقبل"، لقد تم انتشاله من قعر بئر اليأس وصعد لأعلى السماء، تلك هي بداية الحياة حقًا لقد كان قرارًا حكيما أن يتخلى عن الماضي وينظر للحياة، لقد وجد من يعيد الألوان لعينه، الآن فقط سيكون للطعام طَعم وسيعود القلب دافئًا مرة أخرى.

قال لها "ولم تأخرت في الرد كثيرًا، قد كنت على وشك فقدان الأمل"، جاءته رسالتها قائلة "لقد كان الأمر مفاجئًا لي وقد كنت أحتاج أن أراجع نفسي مرات قبل أن أقبل أو أرفض لذلك تأخرت، وأعلم أنك قد بلغ منك التفكير ما بلغ ولكن زاد من موافقتي أنك لم تفقد رباطة جأشك وانتظرت أن أرد".

ابتسم في نفسه فهي لا تعلم أنه كان على وشك الانهيار وهي من أنقذت الموقف، لو تأخرت دقائق أخرى لم يكن الأمر ليسير بهذا الشكل، قال لها "حسنًا فليجمعنا موعد قريب، يمكنك تجهيز موعدٍ لي مع والديك"، قامت

بالرد سريعًا "فليكن موعدنا بعد ثلاث أسابيع من اليوم"، كتب رسالته الأخيرة بكل هدوء هذه المرة "سآتي، لن أتأخر".

لم تنقطع الرسائل اليومية، واستمر العهد بينهم على أمل اللقاء بعد المدة المتفق عليها، حتى كان على الموعد أيام قليلة، كان قد ملَّ الجلوس في المنزل فقرر أن يأخذ صديقه الصغير ويذهبا لمكان فيه بحر علهما يستجمان قليلا، يريد أن يبدأ من جديد، يريد أن ينسى ما قاساه في السنوات الأخيرة ويرى العالم من زاوية أخرى، فلقد رأى من البشر ما أرّق نومه لأيام، يريد أن يسير في الحياة ليرى كيف سيترك أثرا فيها، هل يستمع للطبيب أم للرجل الطيب، هل يعمل بجد لتغيير المجتمع أم يبحث عن مكان يترك فيها أثرا لا أكثر، جاءته رسالة تقطع حبال أفكاره، كان الحساب المرسِل مجهولا وكان حديث الإنشاء، كانت الرسالة عبارة عن: "أين كنت يا فتى لقد بحثت عنك كثيرًا جدا."

# (5)

لقد ظن أن الرسالة قد أُرسلت عن طريق الخطأ، فلم يرُد لكن تبعتها رسالة أخرى: "يا إلهي أبَعد كل تلك السنوات لم تفتقدني، يا لك من غدار يا فتى".

كان يتمنى أن يكون ما يفكر فيه صحيحًا وخاطئًا في نفس الوقت، لقد صفعته الحياة صفحة أنّى يستفيق منها، لقد عاد ألم رأسه مجددًا هل هذه الرسالة عن طريق الخطأ أم أنها موجهة لي شخصيا، ظل يراجع علاقاته ولكن لم يتذكر أنه ابتعد عن أحد سواها، فلقد كانت هي كل دائرة معارفه، قبل أن يرُد على تلك الرسالة أراد أن يبكي، كيف لشخص أن يتحمل كل هذا الكم من الأفكار المضطربة والمشاعر المتضادة في آن واحد، لكنه قتل خوفه للحظات وهدّأ نبضات قلبه برهة ورد على الرسالة "في الواقع لا أعلم حساب من هذا هل أعلم من أنت؟" جاءه الرد سريعا كما لو أن المتلقي يعلم إجابته وينتظرها بفارغ الصبر.

"وهل تعلم غيري أيها الأحمق، هل تعلم كم من المحادثات أجريتها وكم من المكالمات في محاولة الوصول لك، لقد كان بقي القليل فقط وأذهب للبحث عنك في الشوارع" صمتٌ للحظات ثم تبعتها رسالة "لقد افتقدتك حقًا".

هنا قُطع الشك باليقين الآن ستصير تلك الحياة جحيما مستعر، لقد مر شريط حياته أمام عينه في لحظات، وأمسى في شروده الذي هرب منه منذ أيام قليلة، لقد فقد الشعور تمامًا ثم بدأ بالضحك هستيريًا، لم يعلم ماذا يحدث لقد كاد يصاب بالجنون إذا لم يكن فعل.

قال في نفسه وهو يضحك هستيريا "أبعد كل تلك السنوات، يكون رجوعك الآن، ما بك أيتها الحياة هل ابتسامتي تؤلمك أم ماذا، ما الذي يحدث، لقد كنت على شفير الهاوية أريد أن أراها وبعد فقدان الأمل ومحاولة البدء من جديد تعود بتلك السهولة، هل هذه الحياة تمزح معي، هل قتلت أحد أفراد عائلتك أيتها الحياة وهذا انتقامك مني."

لقد جُن حقا ولم يعد يدري ماذا يفعل الآن، حتى أن الدعاء قد توقف في حلقه، بماذا يدعو هل يدعو ببقائها وهي التي كانت كل حياته وقد سكنت

القلب والجوارح، أم يدعو أن تكون حلما فلقد قطع عهدا وميثاقا على قلبين أن يكون لقائهما بعد أيام، لم يقطع أفكاره المدمية سوى رسالة أخرى كُتب فيها "رد يا رجل لن أخطفك هذا صعب على فتاة بريئة مثلي" حين قرأ الرسالة ابتسَم، لقد ابتسَم كما لو أنه تم إحياؤه من جديد، لقد بكى كما لو أن حزن العالم ألقي على كتفه.

لقد تذكر آخر لقاء كما لو أنه البارحة، لقد كاد يريد أن يركض ليراها، كان يتمنى ألا يكتفي بالتلويح لها، كان يتمنى لو أنه ذهب معها لم يكن ليرى كل ما حل به، لقد حرك رأسه سريعًا ليطرد وساوس الشيطان تلك عنه، ونظر لصديقه الصغير ليقول بصوت يحتضر: "آه لو تعلم يا قِطي الصغير ما أنا فيه الآن".

بينما هو غائب في ظلماته وصوت الرسائل ينتشله من براثن الألم للحظات ثم يرميه مرة أخرى، يقرأ رسالة جديدة "أعلم أنك تعرف الآن من أنا، وأعلم أنك تبكي الآن لقد كنت لين القلب دومًا كما عهدتك ولم تغيرك الحياة، أنت لست من هذا النوع الذي قد يقسو بسبب أي شيء، ولكن لا تطل في هذا الصمت لقد اشتقت إليك أبَعد كل هذا الوقت هكذا يكون لقاؤك، يا ليتني

أتيت بعنوانك وقابلتك بعناق، ولكن لم أستطع الحصول إلا على حسابك هذا، لم أكن لأجده ولكن كان هناك هاجس في قلبي يخبرني بالبحث عنك، لقد بحث لسنوات يا فتى، كل يوم أكتب اسمك في مكان البحث باللغة العربية والإنجليزية، وأتصفح مئات الحسابات يوميا لعلي أجدك في أحدهم، وكانت تلك الصورة التي تضعها هي ما أعاد الحياة لقلبي، فحساب باسمك ويضع الصورة التي كنت أحبها لابد أنه أنت، لقد تعبت في البحث عنك، ولكن نسيت جهدي الآن حتى وإن لم تكتب شيئًا، الآن وجدت نفسي".

كل حرف كان يخترق قلبه كل كلمة منها لها دفئها الخاص، لقد بكى بملامح جامدة، لم يرد البكاء لكن الحنين غلبه، وآبار الدموع قد غلبها الاشتياق، لقد أمطرت العيون فأين عناق القلوب الآن.

ماذا يفعل؟ لو كان بيده لاخترق شاشة الهاتف ليراها، لو علم مكانها لقطع من أجلها الأميال، لم يستطع سوى ضرب كفه بالمقعد الذي كان يجلس عليه وقال في نفسه غاضبًا "أين كنتي منذ عشرة أيام فقط، ألم تجديني مبكرًا عشرة أيام، يا إلهي لقد تعبت." مسح دموعه وأمسك هاتفه ولم يعرف ماذا يكتب، لفد كانت رسائلها تشع حبًا واشتياقًا، وهو أيضا قد نال منه الشوق

ما نال ولكن كيف يكتب حرفًا واحدًا قد مسته قطرة من فيض حبه وقد عاهد قلبًا منذ أيام أنه لن يتركه أليست تلك خيانة أخرى.

لقد تهشمت روحه من فرط الخيانات التي يقع فيها رغمًا عن إرادته، قلبه طيب جدًا ولكن الحياة لا تحبه أو أنه لم يكن صبورًا بما يكفي، لقد غلبه هواه واستبق أي فرحة تأخذ يده من غياهب اليأس، لقد صبرَ كثيرا لكنه انهار في النهاية، كل ما قد قاساه لأعوام تكالب عليه فلم تكن أمامه فرصة كان يحاول البدء من جديد ولكنه اختار الوقت الخاطئ، لقد خسر الكثير الآن لكن ربما لا تزال لديه فرصه، عليه التضحية.

"مهما كتبت من الرسائل لن تكون كافية لأعبر عن مدى شوقي، ولن أستطيع وصف كيف يرقص قلبي الآن بعدما عادت روحه إليه، لم أرد سريعًا فلقد عجزت حروف اللغة على وصف شعوري الآن، أريد أن أخبرك بالكثير حقًا فلقد رأيت ما هشم قلبي وكياني، لم أنسك للحظة ولكن العالم قد اختطفني من بين الناس." لقد كتب رسالته بحب لقد كتبها بمشاعر دافئة تملكت قلبه يعلم أنه ليس بحاجة لتجميل الكلام يكفيه أن يخرج من قلبه فهي ستتلقاه بقلبها حتى وإن كان حروفًا مبعثرة هي سترتبها، حتى وإن لم يكتب كانت

مشاعره لتصل حتمًا، إنها توأم روحه ستفهم ما به دون شرح، وحتى دون أن يتحدث.

"أخيرًا، لقد هرمت من أجل هذه اللحظة، هيا سريعًا أرسل لي رسالة صوتية، أريد أن أسمع كيف يكون صوتك الآن، أريد أن أراك أنا على يقين أنك تغيرت كثيرًا" ابتسم من تلقائيتها المرحة "حسبك قليلًا، لم أغب كل هذه المدة التي تجعلني أتغير، ستجعلينني أشعر أنه إذا نظرتي إليّ وسط الناس لن تعرفيني"، كان يكتب كلماته وهو يقول حتمًا لقد تغيرت، لقد أكل الزمان على وجهي وشرب، لقد قاسيت أمورًا كانت كفيلة لتقتلني، لم أكمل الثلاثين وشكلي تجاوز الستين، لقد رأيت الكثير دونك، لكنك كنتي معي دوما.

ترد سريعًا كما لو أنها تعلم تماما ما يفكر فيه وكيف سيكون رده "في الواقع سأعرفك وإن كنت مغمضة العينين، سأراك وسط ألاف البشر دون حتى أن أدقق النظر وهذه ليست مبالغة، إن عفى عليك الدهر قلبي لا ينسى أبدًا".

حاول أن يستعيد ذكرياته في كلماته "يا لك من متملقة، لم تتغيري أبدًا" قالت وقد شعر بفيض من الذكريات بعد قراءة ما كتبت أخيرًا "ولمَ أتغير وقد جمعتنا أسعد لحظات حياتنا ونحن كما نحن، كيف أغير نفسًا مليئة

بالسعادة والحب، أقسم أنه مرت سنوات على غيابك ولكنك صديق طفولتي وتوأمي لم أنسَك للحظة، لقد كنت دومًا في بالي، لقد اتصلت بكل من أعرفهم من جيراننا في الخارج وكل من كانوا معنا خارج البلاد، لأجد أي وسيلة تصلني بك، لكنك اختفيت دون أثر، أريد رؤيتك في أقرب وقت حقًا، أريد إحياء ذكريات الماضي ثانية، أريدك أن تقص عليّ كل ما مررت به".

لقد كانت كلماتها بحرًا من الذكريات قد صُب في عقله، من يراه يشعر حقًا أن أمامه مريض فصام، لقد كان يبكي منذ لحظات والآن ابتسامته قد وصلت لأذنيه، لقد عاد له الشعور مرة أخرى ولكن هيهات لقد تذكر وعده مرة ثانية وغرق في دوامة الأفكار مجددًا يا ترى بمن يضحي، هل يضحي بوعده أم بصديقة عمره، أي قلب سيتحطم بين تلك المعاناة.

تذكر لحظاته في الزنزانة وهو يجلس مع نفسه حين يشتد عليه الإعياء، ينتظر الموت لكنه لا يأتيه، يتناسى ألمه بذكرياته معها، كان ينتظر أي وسيلة يمكنه من خلالها سماع صوتها، إنها حياته بالكامل، ماذا حدث لقلبه ليفكر فيمن سيضحي، بالطبع لن يضحي بها، لكن كلمات الرجل الطيب ترددت لمسامعه، يريد أن يترك أثرًا لكن لن يتركه بهذا السوء لأحدهم.

لقد قرر الوفاء بوعده فألم الخيانة أصعب من ألم الفراق، هو لن يخون وعده ربما قد تبتسم له الحياة ويتم رفضه في يوم التقدم للزواج، ربما لو علمت الفتاة التي وعدها بوجود أحد ما ستتركه وفي كل الأحوال لم يكمل تعارفهما شهرًا، سيختتم الكلام الآن وسيدع الأيام تكتب نهاية هذه القصة "سنلتقي قريبًا، فلتحددي المكان والزمان سأنتظر على أحر من الجمر" أنهى رسالته وأرسلها لصديقة عمره لتحتضن الهاتف وتنتظر بشوق.

لم تعد رحلة الاستجمام تلك رحلة متعة كما توقع، بل صارت جحيما من الأفكار يشتعل في رأسه، يقع بين خيارين كلاهما أسوأ من الآخر على الرغم من أنه ترك الأيام تفعل ما بدا لها إلا أن هذا العقل لا يستطيع التوقف عن التفكير لقد كانت الرحلة الأكثر تعاسة في حياته وها هو الآن قد عاد وحان وقت الوفاء بالوعد.

لقد تقدم لخطبة الفتاة وعلى عكس ما كان يريد لقد قبل والداها به رجلًا مناسبا لابنتهم، الآن ابتسامته يتخفى بين طياتها ألم وحزن، ولمعة عينه كانت دموع بكاء وليست سعادة ولكن من يعلم بما تخفيه القلوب، لقد مر اليوم بسلام، وسادت مشاعر الفرحة هذا اليوم، ولقد تم تحديد ميعاد الزفاف

بعد عام من الآن، سيظل طوال هذا العام يكبت حبه القديم ويظهر حبًا جديدًا وهو على يقين أنه ما اجتمع حُبين في قلب واحد إلا وكان أحدهما خيانة، لقد وجد ضالته التي أضاءت حياته فهي كانت شعاع الأمل وسط اليأس، كيف سيتخلى عن منقذته، وكيف سينسى من كانت حياته ف الأساس.

كان يتحدث مع صديقه العزيز الذي كعادته حين يؤرقه أمر ما: "هل تعلم يا قِطي العزيز، إن القلوب تعمَل بغرابة شديدة، لا تستطيع فهم ما يحدث، نحن البشر نحزن ونسعد في لحظات، ونتردد في لحظات فارقة، نخاف أن يزورنا الخوف، ونحن نعيش كل يوم في خوف، نخاف من بعضنا البعض، نخاف من التعلق والرحيل، نخاف من كل شيء ومع ذلك تكذب قلوبنا وتخبرنا أننا بخير، تظل الذكريات بقلوبنا في أصعب الأوقات وفي أوقات أخرى نتخلى عنها بسهولة، إن المشاعر معقدة جدًا، تجعلنا نقف في أماكن لا ندري، هل ما نفعله جيد أم سيء، قلوبنا هشة تضعف بسرعة، وقوية جدًا أيضًا لكننا لا نعلم كيف تسير هذه الأمور، نحن نسير وفقط لا علامات تدلنا على الطرق، ولا تثبت قلوبنا على حالة، فكيف نهتدي يا قطي الصغير، كيف

نعيش في هذه الحياة دون أن نتأذى من كل شيء، إذا اعتزلنا الجميع تقتلنا الوحدة، وإذا اقتربنا يقتلنا الخوف من الفراق، نتجاهل ذرات الألم فتتراكم لتصنع جبالا من الحزن، فلا نستطيع السيطرة على مشاعرنا، نريد أن نبكي، نريد أن يعانقنا أحدهم ويتركنا نبكي حتى تفرغ خزانات الدموع في أعماقنا، لا نريد أن نشعر بالحزن، لماذا لا تمر الأمور فقط ببساطة؟"

بعد أيام وبعدما حددت صديقة عمره المكان والزمان تقابلا، ونظرات العين قد أفصحت عن كل ما كان في القلب من اشتياق، لهيب الدموع المنسكبة ودفئها أعادت حنينا وذكريات لا يمكن أن تمحى من الوجدان، الآن قد اكتمل القلب الذي قسمه الفراق، الآن قد اجتمعا، وقد ملأ جعبتهم الكثير من الحديث، أين كانا في كل هذه الفترة.

كان يرتدي قفازات ليخفي آثار ما حدث له فلا يريدها أن تقلق بعد كل هذا الوقت، كان قد أخذ صديقه الصغير ليسلم عليها وقد قال له من قبل: "حسنًا يا صديقي الصغير، سنذهب الآن لمقابلة فرد من العائلة، كانت عائلتي قبل أن أجدك، والآن سيعاد الشمل مرة أخرى لكن لا تقلق يا صديقي، لن يتغير مكانك عندي فأنت من شاركتني أصعب لحظاتي، لن أتركك أبدا".

لقد كان الوقت قليلًا جدًا على كم الأحاديث التي تمنيا الحديث فيها، لقد كان يدرك أنه يقوم بخيانة عظمى فهو لم يخبرها عن خطبته ولم يخبر خطيبته عنها، لقد كسر كل قواعد الحب، وخان نفسه قبل أن يخون أحد، بعد طول الكلام وتأخر الوقت أنهت حديثها بدعوته على حفل زفاف أختها الكبرى "ما جعلني أهتم بالبحث عنك أكثر أن أختي الكبرى ستتزوج قريبا جدًا وأنت تعلم كم كنتَ مقربًا من عائلتنا ولذلك وجب دعوتك، فلترتدي بذلة رسمية ودعك من عشوائيتك المفرطة، فلم نعد صغارًا الآن".

على الرغم من أن اللقاء أوشك على الانتهاء، ويعلم أنه سيحزن حين تغادر إلا أن وقع الخيانة لم يعد له صدى على أذنه فهو الآن يغادر والأمر ينتهي وسيقتصر على المحادثات والتي ستقل بمرور الوقت الآن يمكنه أخذ نفس عميق ليزيح ثقلًا جاثمًا على صدره، لقد كان قلبه ضعيفًا حتى يطمع في رؤيتها مرة أخرى، فعلى الرغم من كون القلب أضعف إلا أن جميع الجوارح تستجيب له دون تفكير، فلتنم أيها العقل فعدوك اللدود ما زال حيًا.

تمر الأيام الهادئة سريعًا كما تمر كل الأشياء الجيدة، ربما الوقت لا يتغير ولكن الانغماس في الهدوء والراحة أشبه بالمخدر الذي يجعلك تفقد

الإحساس بالوقت، فما تريده يحدث عكسه دوما، لقد اقترب موعد الزفاف ولقد أخبر خطيبته عن هذا الأمر ففي كل الأحوال هي ستشاركه حياته فيما بعد لا ضير من المعرفة، ولكن لم يخبرها عن علاقة حبه القديمة والتي قد سرقت جزءًا من قلبه، لقد اكتفى بقوله لقد كنا جيران، لقد كان يوم الزفاف هو الأصعب على قلبه المحب، فهو يرى حبه القديم لأول مرة بفستان أبيض يشبه ما ترتديه العروس لقد تمنى أن يأخذها بين ذراعيه وهو يرتدي تلك البذلة، ولكم تخيل شكلهما معا، حتى أفاق من خيالاته بعد ما أنَّبه ضميره وقال في نفسه "كفاك كذبًا على نفسك لقد انتهى كل شيء فلتهتم بما معك." ولكن كيف سيبذل حبه لخطيبته وهو يتخيلها شخص آخر، يا لتعاسة حظها، كيف سيتراجع بعدما سار خطوات عديدة في طريق ما، كبرياؤه يرفض الاعتراف بالخطأ يصر على استكمال الطريق الذي يعلم أن في نهايته عذاب واضح.

بعد انتهاء الزفاف حاول مراسلتها ليخبرها عن مدى جمال فستانها فلم تسنح له الفرصة ليخبرها بذلك في الزفاف وقد انشغلت مع أختها ولكنه تفاجأ بأن الحساب لا يستقبل الرسائل، كما لو أنه لم يعد موجودًا، هنا وقف للحظات

وبدأ بالفصام مرة أخرى يبتسم ويتعجب ويفرح ويحزن، هل يصيبه القلق بسبب اختفاء الحساب، أم يفرح لابتعادها وأنه سيتفرغ لمن اختار العقد عليها، لقد قام بتصبير نفسه الآن سيسير كل شيء على ما يرام لقد انتهى الكابوس، وهو في الواقع لم يبدأ بعد.

حياة الأشخاص ذوي العقول المفكرة عبارة عن قطعة من الجمر الملتهبة، لا يمكن إمساكها، وتأخذ وقتًا حتى تخمد، وللأسف أيضًا أنها تشتعل سريعًا، لقد كان عقله هكذا، ولقد كانت الحياة وقودًا بالنسبة له، لطالما أشعلت نيران صدره، وأغرقته في غيابة جب المآسي، جعلت منه شخصًا يحاول إخفاء مشاعره المضطربة دائما في الابتسام حتى تظن أنه يعيش ف الجنة، وما كان هذا إلا من نقاء قلبه الذي يرغمه على التخفيف عن الناس بالبسمة، وإن كان هو أمَس الناس حاجة إليها.

لكن حبال الكذب قصيرة جدًا ومن أخفى مشاعرة يومًا لن يستطيع إخفائها دهرًا، فإن أخفت الأجفان سرًا فصوت رقص القلب يفضح، ولشعور المرأة أقوى من أي مستشعرٍ قد وُجد، لقد سألته خطيبته سؤالًا كان يتمنى دومًا أن يموت قبل أن يسمعه، سؤال اخترق أذنيه كان يتمنى لو أصابهما الصمم،

الآن هو أمام الأمر الواقع "أخبرني بصدق بما أن زفافنا قد اقترب هل تحبني أم أن هناك في قلبك غيري" ، وإنه والله حين تكذب تهرب عيونك ولقد بدا عليه على الرغم من معرفته لذلك لقد قال بهدوء "إن لم أكن أحبك لم نكن لنصل إلى هذا الحد، بالطبع ليس هناك في قلبي غيرك"، لقد شعرت فهي امرأة لقد كان الكذب باديًا للغاية على محياه فقالت "ولما أشحت عينيك عني".

لقد علم أنه كُشف أمرُه "لم أكن أقصد الالتفات لقد كانت حركة عين في الوقت غير المناسب فقط"، لقد بكى بداخله الآن تحطم كل آماله أمام عينيه الجامدتين فعلى الرغم من احتدام الموقف إلا أنه كان في غاية الهدوء، لقد تبلدت مشاعره، ولم يعد الشخص الذي كان يعرفه.

لقد ابتسمت، ابتسمت من قلبها حقًا وأخبرته بلطف "لقد صبرتُ كثيرًا لأتأكد، أعلم أنك مرحٌ بعض الأوقات ولكن أوقات شرودك أكثر، أنت تفعل كل شيء بهدوء وهذا ليس هدوء طبع وإنما هدوء محنة، لقد حاولتُ دومًا أن أشاركك حزنك القابع داخلك ولا تريد أن تخبرني إياه، ولكن ما بداخلك ليس حزن وإنما حب لم يكن ملكي، وهذا أمر لا يمكنني أن أشاركك فيه".

لقد كان يستمع في هدوء فهي صادقة وإنكاره لأي كلمة سيثبت العكس، لقد كانت محقة لدرجة أرعبته، إنه يخفي الكثير يريد أن يتحدث عما حدث له ليضع ثقلًا جاثما عن قلبه، لكن لن يشعر به أو يفهمه أحد سوى من أخذت قلبه بين يديها، شعر بالبرد في أوصاله لأول مرة بعد شهور، لقد ابيضت عيناه وزال لمعانها، ونظر في عينها طويلًا كما لو كان يبكي بداخله ولكن عيناه تظهر بلا حياة، لقد فهمَت أنها قد حطمت بداخله جدرانًا قد بناها ليخفي داخلها حزنه والآن قد بات مكشوفًا للورى، الآن لم يعد هناك سبب لاضطراب المشاعر الآن هو في قمة يأسه.

"ربما معرفتنا لم تطل كثيرًا، كانت بضع شهور لكني علمتك شخصًا مخلصًا، ومحبًا وغيور على من تحب، لم تبخل أبدًا بابتسامة، ولم تتجاهل يومًا حزن أحد، لقد كنت مرورًا لطيفًا علمني كيف أكون شخصًا أفضل، في الواقع أنا حزينة على خسارتك، ولكن هذا هو الحل الأفضل لنا، فأظن أن الأمر بات جليًا أنا لا أملك مكانًا في قلبك، وأنت لم تملأ قلبي كله بعد، اليوم يمكننا الافتراق دون عناء، والآن يمكنك البحث عن نفسك... كن بخير دائمًا".

لقد أنهت كلامها والآن ستغادر، ستترك جزءًا من قلبها هي الأخرى في مكان لن تستطيع الوصول له مرة أخرى، لقد فارقته شريكة مستقبله، ولا يستطيع الوصول لصديقة ماضيه، الآن هو في سجن الحاضر ولا سبيل للتقدم، لم يستطع قول كلمة واحدة تمنعها من السير، حتى أنها لم تلتفت مرة واحدة للخلف، ربما أرادته أن ينادي عليها مرة على الأقل وكانت ستقسم بالبقاء له أبد الدهر، ولكن هو لم يحرك ساكنًا لقد ذهبت الحياة من عينه وتملكته غصة مؤلمة الآن فقد كل شيء.

لقد سار في الطريق لمنزله متخبطًا لا يهتدي لاستقامة، لأول مرة يتوقف عقله عن التفكير برد قارس في قلبه ونحن في فصل الصيف، وجمود تام في عقله، لا يدرك إحساسه بالزمن ولا المكان فقط يعلم أن هذا طريق المنزل وأن هذا هو سريره الذي لم يعد له سواه رفيق.

لقد تذكر كلماتها عن كونه كان مرورًا لطيفا، ولكن لم يكن يريد أن يمر بتلك الطريقة، قال في نفسه: "لقد فشلت أيها الرجل الطيب لم أستطع أن أكون مثلك، أنا الآن أتخبط في الطرق وقد عادت ذكريات الماضي لتقف أمامي وتمنعني من التحرك".

تمدد على سريره محدقًا في الفراغ ولكن أي فراغ قد يسع الفراغ داخله، لقد تقلبت مشاعره الضعيفة بين الخوف والقلق والحزن، لقد افتقد شعوره بالحزن والفرح معًا الآن حزن فقط، أمسك وسادته ووضعها على فمه ليصرخ كاتمًا صوت صراخته، لعل ذلك يهدئ من أثر مُصابه، وقد كان صديقه الصغير يمسح على رأسه لعله يهدئ من روعه قليلًا، لقد بكى القط، بكى فقد ظن أنه سيفقد صديقه.

قطع لحظاته التعيسة صوت الهاتف والذي هو مصدر بؤسه الشديد الآن لقد كاد أن يحطمه ليستريح، ولكن هناك اتصال من رقم مجهول، هل يقوم بالرد أم يذهب العالم للجحيم فلم يعد هناك ما يهم، لا يدري بماذا فكر لكنه قرر الرد ليجد صوتًا ملائكيًا من الجانب الآخر من الهاتف يخبره "هكذا إذا، أغيب فترة أخرى ولا تبحث عني يا لك من ناكر للعشير يا رجل" بدأت عيناه تستعيد لونها، والدم ينبض في عروقه الآن خرج صوته الهادئ "أين كنتي لقد أرسلت لك الرسائل ولكنها لم تصل" لقد ساير المكالمة فلربما تبتسم له الحياة أخيرًا "في الحقيقة بعد زفاف أختي قمت بتغير الهاتف وشريحة الاتصال كنت سأخبرك على الفور ولكن حدثت بعض المشكلات قبل شراء الهاتف فظللت

فترة لا أستطيع التواصل، ولكم ظننت أنك ستنطلق في رحلة للبحث عني، يا خيبة أملي وتفكيري لقد حطمت قلبي الصغير يا فتى" لم يدرِ لماذا طرأ هذا السؤال في رأسه ولكن ألقاه بدون تفكير "ما هي المشكلات التي طرأت في هذه المدة" قالت وهو ظاهر أنها تخفي أمرًا "بدل أن تسأل عن حالي تسأل عن المشكلات، حسنًا سأخبرك ففي النهاية أنت صديقي المفضل لا أستطيع إخفاء الأمر عنك، في الحقيقة بعد زفاف أختي كان هناك أحد أصدقاء زوج أختي رآني وقد طلبني من أبي، ولقد وافق والديّ، فأذعنت لرغبتهما وهو في الحقيقة شاب جيد، الأمر استغرق بعض الوقت حتى أقرر فقط هل سأتقبل الأمر أم لا، ولكن أختي قامت بإقناعي أني سأكون جوارها".

كان يستمع بانتباه يريد أن يقول لها وماذا عني ألم تفكري فيّ أم ماذا، لقد شعر بالحزن كثيرا هذه المرة هل كان يحبها وهي كانت تراه صديقًا فقط؟ لقد تشجع هذه المرة ولم يتوانى عن السؤال "ماذا عني؟" ولقد أجابت كما لو أنها قد تجهزت للرد "لم تغب عن بالي لحظة واحدة، لكن أنت من قمت بخطبة فتاة ولم تخبرني، وقابلتني ولم تلمح بالخطأ حتى أنك تريدني، وحضرت زفاف أختي ولم تقترب حتى لتنظر إليّ، لقد شعرت أن فراقنا في السنوات الماضية

غيّر حبك تجاهي لربما أخطأتُ في الشعور ولكن، ستظل أفضل صديق حظيت به، أنت اخترت الصمت يا فتى وتلك أول مرة لم أكن أفهم ما تخفيه داخل قلبك، أنا آسفة سأغلق الآن فأنا منشغلة ببعض العمل، كن بخير دائمًا فإنك والله قد أخذت من قلبي ما سيقتله إن حدث لك مكروه، معي عنوانك ربما سآتي لزيارتك يومًا".

لم تعط له الفرصة ليخبرها أنه قد افترق عن خطيبته، وفي الحقيقة لم تكن هي الأخرى ستتزوج لقد اختارت الكذب حتى لا تعود بعد سنوات غياب طويلة لتفسد له حياته التي قد قرر بنائها وهي غائبة، لقد كانت تشبه قلبه الطيب الذي يأبى إلا أن يترك مرورًا جميل في حياة أحدهم، الحب لا يجعل الحياة حِكرا على أحد فالزمن يختلف والأعمار تنتهي، لا أحد يُلام على اختيار حياته وتجاهل أي شيء، ولكن هل يعلم القلب أن الحياة لا تسير بغير حب أم لا؟

هنا أدرك حقيقة أن المشاعر لا تعمل بهذه السهولة لقد أخفى مشاعرة ليحفظ مشاعرها، لكن الظروف المحيطة لم تكن تساعد، لقد أرسل لها ليخبرها بمدى جمال الفستان وكم تمنى أن يراها بجانبه بهذه الحلة ولكن الظروف المحيطة لم تكن تساعد، لقد أتت متأخرة للحظات فقط، فانتهى

كل شيء، لقد أخذ نفسًا عميقًا، ذكره بذلك النفس الذي قد أخذه في المطار آخر مرة، لتعود ذكريات سنوات خمس بالتدريج إلى عقله، يتذكر فيها ألم التعذيب في السجن، وألم الفراق لحبيبته، وألم العالم الذي قد وجد نفسه فيه، لقد تذكر الحارس والطبيب وصاحب السكِّين، والسيدة العجوز، والرجل الطيب، وبائع الخبز، لقد تذكر كل من أثر في حياته، نظر لصديقه وقال في هدوء: "لقد كبرتَ يا قطي الصغير لتفهم الآن ما أمر به، لقد كانت صديقة عمري وقد كنت أحبها، ما كنت أريد وداعها أبدًا ولكن الحياة لم تكن في صالحي، لم تسنح لي الفرصة لأخبرها أني وعلى مدار سنوات لم أنسها للحظة لقد كنت أريدها دومًا، لكنها الآن ستتزوج، لن أكون الصديق الذي يعود بعد سنوات ليفسد لها حياتها، إن الحياة صعبة جدًا يا صديقي العزيز، العالم بشع للغاية والحياة ليست عادلة، ربما نكسب أشياء لكننا نخسر في المقابل أشياء أكثر، ربما نحب أحدهم لكنه في النهاية يرحل، ربما نصمت في أكثر الأوقات التي يلزم الكلام فيها، آه يا قطي الصغير لا أعلم كيف أخبرك هذا ولكن أظن أني سأموت قريبًا فنبضات قلبي تضعف ولم أعد أستطيع أن أتنفس بشكل منتظم، أرجوك يا صديقي لو مِت وأنت هنا فلا تتركني، يمكنك

أكل التونة كما تشاء ولكن لا تسرف حتى لا تصاب بالتخمة، لو فقدتني يمكنك الاتصال بها فهي أنا لكن في جسد آخر، سأفتقدك حقًا يا صديقي الصغير."

نظر له القط في حزن وذهب للجلوس جانبه دون أن تلتفت عينه، كما لو أنه يود أن يقول له "أنا معك، وسأظل معك، لن تموت الآن فما زالت الحياة تنتظرنا".

كان ينظر للقط كأنه يفهم ما يقوله بعينه، لكن آثار جراح الماضي قد أعيته لقد شعر بوعكة يظن أن فيها موته، لكن ما زال يمتلك في قلبه الكثير، لقد سمع طرقات على الباب، لكنها لم تكن أعلى من الطرقات التي تخترق قلبه، ذهب القط ليقفز على الباب ليفتحه، فلقد كان الباب مجهزًا ليغادر القط متى أراد فهو ليس محبوسًا في هذ المنزل، فتح الباب ليجد الفرد الثالث من العائلة يقف أمام الباب، لتنظر له وتقول، "كيف حالك أيها الصديق الصغير، أظن أنك أنت من سرق صديقي العزيز مني".

نظر القط في أسى كما لو أنه يخبرها أنها من سرقت كل شيء منه، دخلت لتجده ممد على السرير مصابًا بوعكه أقعدته جعلته لا يدري بما حوله، لم

يكن يرتدي قفازه، فظهرت أصابعه الناقصة، كما أن الندبات التي كانت تغطي ذراعه قد كانت جليّة، نظرت لحاله المريض لتحبس عبرات تحارب للسقوط لتقول: "أنا آسفة يا فتى لكن أظن أني قسوتُ على قلبك بعض الشيء، لم أرد أن ينتهي الأمر هكذا، لقد جئت لأودعك من هنا، أو في الواقع افتقدتك جدًا فجئت أراك قبل أن أرحل عن حياتك تمامًا".

نظر لها وقال بصوت مريض جدًا: "لقد أتيتي متأخرة يا فتاة، أرجوكِ اهتمي بقطي الصغير فليس لي سواه في هذه الحياة".

قالت وهي تحاول أن تكتم بكائها: "وخطيبتك التي تحبها أين هي".

نظر لها ولم تغفل عينه حتى أن نظراته فقط كانت تشرح كل شيء الآن بكت ولم تعد قادرة على حبس دموعها أكثر، قالت وهي تبكي: "لماذا اخترت الصمت أيها الأحمق".

قال وهو يبتسم: "أردت فقط أن أراكي سعيدة، ولا يهم شيء آخر".

قالت بعدما شعرت أن الأمور كانت تسير في طريق خاطئ تمامًا: "أنا لم أكن لأتزوج وأنت تسكن في قلبي، لقد كذبت لأجعلك تحيا، لست الصديقة السيئة التي قد تفسد حياتك بعد كل هذا الوقت".

نظر لها وابتسم، الآن هو يبتسم براحة كبيرة، وعقله لم يعد يفكر في شيء إلا هي، لقد تخيلها أمامه بالفستان الأبيض وهي بجانبه تبتسم فابتسم هو الآخر، نظر للقط وقال: "الوداع يا فتى كما أخبرتك اذهب معها فإنها أنا في جسد آخر"، وأغمض عينيه وغط في نوم عميق...إلا أن القط لم يكن ليتركه أبدًا فذهب على صدره والتف كما لو أنه سينام وبالفعل نام على صديقه، نام وهو يشعر بالأمان حتى النهاية، أغمض عينيه ونام.... للأبد.

تمت بحمد الله

أسألكم الدعاء ل "ملك حاتم" بالرحمة، وأن يرزقها الله الفردوس الأعلى...❤

**الناشر:**

دراكوتوبيا للنشر والتوزيع

رقم الهاتف: 01550902211

رقم الهاتف: 01010117843

البريد الإلكتروني: dracutobiapublishing@gmail.com

فيسبوك: https://www.facebook.com/Dracutobia

# لو انتظرتُ لحظة

أحيانًا تتوقَف حياتُك علَى لحظَة، وسعادَتُك علَى لحظَة، وتعاستُك علَى لحظَة، الحيَاة كلها لحظات، فمَاذا سيَحدث لو انتَظرتَ لحظَة؟

غلاف: عبدالله أحمد

Dracutobia
دراكوتوبيا للنشر والتوزيع